الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٣ ـ الخميس ٢٤ شعبان ١٣٨٣ هـ ـ ٩ يناير ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

اذكروا يازعماء العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

اذكروا يا زعماء العرب رؤساء وملوكا وانتم تجلسون يوم الاثنين المقبل جنبا الى جنب في قاعة (الجامعة العربية) لتنظروا في أمر هذا السرطان الذي اصاب قلب الوطن العربي في فلسطين ففعل فعله المميت فيه ، ويريد أن يمد ورمه الخبيث الى سائر نواحيه اذكروا أن الركن الاول من أركان دينكم هو التوحيد ، وأن العمل الاول من أعمال نبيكم هو المؤاخاة ، وأن ربكم الله يقول لكم في كتابه الذي تؤمنون به وتجتمعون عليه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ان القرآن لم يرفع ، وان هذه الآية لم تنسخ ، وانما هي قوة الشيطان سلطها الله على بني الانسان ليبلوهم أيهم أشد استمساكا لدى الغواية ، وأقوى استعصاما عند المراودة ، فهي توسوس في صدور المعوقين منكم عن الوحدة بغرور الاستبداد بالامر والانفراد بالحكم والتدفق في النعيم ، حتى لا يأتلف قلب وقلب ، ولا يجتمع شعب وشعب .

ولو ذكر هؤلاء الزعماء أن زعيمهم الاعلى محمد بن عبد الله آثر أن يكون نبيا عبدا على أن يكون نبيا ملكا ، وأنه جبى الجزيرة كلها وما داناها من العراق والشام وظل ينام على فراش من أدم حشوه ليف ،

ويبيت هو واهله الليالى طاوين لا يجدون العشاء ، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على الناس أقبية الديباج المخوص بالذهب ، فاذا أقبل على أصحابه فقاموا له اجلالا قال لهم : (لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا . انما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) او ذكر هؤلاء الزعماء ذلك لفضلوا أن ينالوا الرياسة عن طريق الشورى ، ويمارسوا الحكم على مقتضى العدل ، ويعالجوا السياسة عن وحى الشعب، فان من يدين بزعامته لشعبه لا لحروبه كان حريا ان يساوى بين الناس فى عدله وفضله .

***

اذكروا يازعماء العرب والوجوه تقابل الوجوه ، والقلوب تخاطب القلوب، ان آباءكم بوحدتهم أخضعوا فى ربع قرن ثلاث قارات ، وانكم بفرقتكم عجزتم فى نصف قرن عن تحرير ثلاثة بلاد . ولو ان الالوية السبعة التى خضتم تحتها غمار الحرب فى فلسطين المغصوبة كانت واحدا لما لوثت أقدام اسرائيل قدس الاديان الثلاثة قبلة الاسلام الاولى ! وهيات ان تعود هذه الوحدة الا اذا أخفتنا فى نفوسنا صوت الأثرة ، وسكنا فى رءوسنا عصف الهوى ، وجددنا فى أذهاننا هذه المبادىء الاسلامية الصريحة : « انما المؤمنون اخوة» «وأمرهم شورى بينهم» «وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

فاذا قامت الزعامة على هذه المبادىء كانت أسلم وأدوم وأعم . تكون أسلم لانها تقوم على الايمان والعدل . والايمان يميت الحقد فى القلب فلا يعتدى عدو ، والعدل يحيى الاحسان فى النفس فلا يثور مظلوم ... وتكون أدوم لانها تقوم على الحق والحب، والحق جوهر الشرائع فلا يذهب ، والحب أصل الطبائع فلايزول ... وتكون أعم لانها تقوم على الدين والانسانية ، والدين عموم لا يعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن ، والانسانية أخوة لاتعرف الاقليمية ولا الحزبية ولا الاثرة ... والزعيم الذى يبنى زعامته على هذه الاسس يظفر برضا الله وحب الناس وأمن العيش ، ويكون أجدر بما قاله ذلك السياسى الاجنبى فى امير المؤمنين عمر حين رآه نائما فى العراء نوم الخالى دون وقاية ولا حرس : (عدلت فأمنت فنمت يا عمر !!) .

***

اذكروا يازعماء العرب أن اسرائيل جيش لا دولة ، وحرب لا سلام ، ووباء ماحق اذا انتشر أهلك الناس وبقى هو كما تبقى الجراثيم بعد من يموت بها .. وان وراءها ذهب اليهود فى أمريكا ، وحديد الاستعمار فى أوربا . فاذا لم تقابلها متحدين مخلصين حاق بنا ما حاق بأهلنا فى فلسطين من تشريد وقهر وفقر .

انها تتحدانا اليوم بتحويل نهر الاردن ، فاذا نجحت تحدتنا غدا بتهويد شعب الاردن . والله يعلم بعد غد ماذا يكون .

ان موقفكم منها فى هذا المؤتمر الخطير حاسم ، فاما نجاح واما فشل . وان آذان الدول فى الشرق والغرب مصيخة لما تقررون فاما قول واما عمل .

***

اذكروا يا زعماء العرب ان امتكم يثور اليوم فى دمها تاريخ ويزار فى صوتها مجد ! لم تعد قاصرة تستنيم لوصى ، ولا عاجزة تستكين لمستعمر ، ولا غافلة تستجن لزعيم . انها على اختلاف اقطارها لا تزال تحمل فى نفسها سر الجزيرة التى يعيش فيها الجمل الوقور الصابر والاسد الهصور المتوثب. لقد نضج وعيها واستقل رأيها حتى بدا ذلك واضحا فى هذا القلق الذى يساور كل نفس ، وفى هذا الامتعاض الذى يرتسم على كل وجه ، وفى هذا الانتقاد الذى يجرى على كل لسان . كل امرىء يريد التغيير وينشد الكمال ويطلب الافضل ، وكل امرىء يحاول أن يفرق بين رجل ورجل ويميز بين عمل وعمل ، ويوازن بين مبدأ ومبدأ .

لم يكن هذا الوعى العام يقظان كل اليقظة قبل استعار الحرب العالمية الأولى . ولا عبرة باستيقاظه فى جماعة المثقفين ، فان من الخطأ أن نقيس وعى

أمة بما نشاهده من حالة السابقين منها أو المتخلفين عنها ، فان من سبق انما سبق باعجازه ، ومن تخلف انما تخلف بعجزه . والاعجاز والعجز من الشذوذ الذى لا يسبب حكما ولا يبنى قاعدة . انما يصح القياس بحال الكتلة التى ظلت متماثلة فى اللون والكثافة والحركة بعد أن انفصلت منها قطعة الى الأمام ، وانخزلت عنها قطعة الى الوراء ، لأن هذه الكتلة تمثل القدر المشترك من الشعور والادراك والوعى والقلق والطموح والاندفاع . فرأيها هو الرأى العام ، وأمرها هو الدستور الحاكم ، ووحيها هو السياسة القومية ، وغضبها هو الثورة الوطنية ، ورضاها هو السلام الدائم .

فالحكم على الوعى العربى يجب ــ بناء على هذا الاساس ــ أن يكون قائما على أحوال كتلتها العجيبة التى مافتئت منذ معاهدة (فرساى) تتقارب وتتضام وتتماسك وتتحد ، على الرغم من الاسباب المفككة والعوامل المهلكة التى ابتليت بها من سفه الاحزاب السياسية فى الداخل ، وطمع الدول الاستعمارية فى الخارج .

كانت هذه الكتلة الممزقة فاقدة الوعى حين أراد محمد على احياء الامبراطورية العربية لحساب أسرته .

وكانت فاقدة الوعى حين ثار أحمد عرابى على العناصر الأجنبية لحساب جيشه ، وكانت فاقدة الوعى حين دعا مصطفى كامل الى الفكرة الوطنية لحساب أمته . ولكن وعيها القومى أخذ يتنبه حين زلزلت الارض قنابل الحرب العالمية الأولى ، فثارت الجزيرة وسورية والعراق على استعباد الأتراك ، وتمردت مصر على احتلال الانجليز ، واستجابت الأمة العربية جمعاء لدعاء الحرية هنا وهناك . وسارت وراء قادتها بخطى الواثق المطمئن فأضلوها السبيل وأوردوها السراب ، ولكنها استفادت من كلال المسير ووعوثة الطريق وسعار الظما بصرا فى الوعى وقوة فى الموازنة وصدقا فى التمييز وصحة فى الحكم ، فلم تكد الحرب العالمية الثانية تنطفىء حتى كانت أمام زعمائها ، تلهمهم فيقولون ، وتأمرهم فيفعلون ، وتوجههم فيتوجهون ، وتأبى على ولاة أمرها أن يدلسوا عليها الرأى ، ويموهوا لها الباطل، ويقنعوها بما دون الحق .

ــ لقد مضى الزمن الذى كان فيه الساسة المحترفون يفاوضون فى أمرها ويعاهدون على مصيرها دون أن يحفلوا لها برأى ، أو يرجعوا اليها بخبرة ، ويدعون مع ذلك انها استشيرت فأشارت ، وخيرت فاختارت . وأتى الزمن الذى أصبحت الأمة فيه هى التى تضع المبادىء وتحدد المطالب وترسم الخطوط ، فليس لمفاوض أن يقولها ما لم تقل ، ولا لحاكم أن يريدها على ما لم ترد .

ولنا فيما يجرى اليوم فى الوطن العربى كله من حرص شعوبه على أن يكون أمرهم هو الأعلى ورأيهم هو الاولى شاهد مصدق ودليل مقنع .

لقد اجمعت هذه الشعوب على أمرين اجماعهم على كلمة التوحيد ، وهما تطهير فلسطين من اسرائيل ، واعادة الوحدة بين العرب . وليس فى مقدور ملك أو رئيس أن يخرق هذا الاجماع وان خرق الأرض بقدميه وبلغ الجبل بطوله ! ولا يغرن المستعين بالجهل على استغلال شعبه واستغلال وطنه فان غشاوة الجهل الى حين . وان القطيع من الغنم متى شعر أن له قرونا لا تقوى عليها عصا الراعى الفرد أبى عليه أن يسوقه الى المجزر .

ان الوحدة والاشتراكية والحرية أصبحت منذ أحد عشر عاما من عقائد العالم العربى فلا يصده عنها الا خائن لوطنه أو كافر بربه . واذا استطاع أحدهما أن يعوق العرب عنها فانه تعويق الى أجل ، ومتى جاء هذا الاجل كان كأجل الله لايؤخر ولا يرد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويسعد المجاهدون بوحدة العرب .

احمد حسن الزيات

عناية الرسول وأصحابه بالقرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

تبدو هذه العناية في مراحل تاريخية متميزة :

(أ) المرحلة الأولى : في حياة الرسول :

١ ــ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على أن يتلقى نص القرآن كما أنزله الله ، ويحفظه دون أن يعتريه اى تحريف أو تبديل .

والقرآن الكريم يدلنا على ذلك حيث يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله صلوات الله وسلامه عليه « لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه » .

ففي هذه الاية اشارة الى ما كان يفعله الرسول من ملاحقة جبريل ومتابعته بالقرآن حين يتلوه عليه، ومن تحريك لسانه بما يسمع منه ، كما يفعل المرء منا اذا سمع شيئا وكان حريصا على ان يحفظه ، فهو يعجل به ويخشى أن يتفلت منه ، والله سبحانه وتعالى صور هذه الصورة التي تنبىء عن شدة الرغبة في المحافظة على النص ، ثم نهى رسوله عنها نهى المطمئن له ، واعدا اياه بأنه هو سبحانه قد تكفل بجمع هذا الوحى الكريم وقرآنه ، أى بان يلقنه الرسول ويحفظه مجموعا في قلبه لا يضيع منه حرف ، وأن يقرأه كذلك محررا مضبوطا لا يعتريه اى تبديل او تحريف .

فالرغبة الشديدة من الرسول متجلية في هذا الصنيع ، والوعد الكريم قاطع في تكفل الله بتحقيق هذه الرغبة ، والعبارة فيه قوية لانها تجعل هذا امرا اخذه الله تعالى على نفسه ، وقطع به للرسول عهدا ولن يخلف الله عهده .

٢ ــ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه شيء من القرآن دعا اليه كتابه فامرهم بكتابة ما نزل اولا باول .

وكان له كتاب منهم زيد بن ثابت ، وعلى بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وانس بن مالك ، وأبى بن كعب ، وغيرهم .

غير ان هؤلاء الكتاب لم يكونوا دائما مجتمعين كلهم ، ولكن ربما غاب منهم أحد وحضر غيره ، فيختار ممن حضر من يكتب له ما أنزله الله عليه ، ويقول « ضعوا هؤلاء » الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . فيكتبه احيانا على عسيب اى على قطعة عريضة من جريد النخل واحيانا على رقعة من جلد ، واحيانا على لخفة ــ بفتح اللام وسكون الخاء ، وهي القطعة المستواة الرقيقة من الحجارة ، تشبه لوح الاردواز ، واحيانا على خشبة مما يوضع على ظهر البعير ليركب عليه ، وهى المعروفة بالقتب ، وهكذا كان القرآن يكتب أولا باول بامر الرسول واشرافه على العسب ، والرقاع واللخاف ، والاقتاب، وذلك هي الاشياء التي كانت يومئذ تستعمل صفحات يكتب فيها قبل أن ينتشر استعمال الورق .

٣ ــ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى جانب هذا ، يبلغ الناس ما أنزله الله من الكتاب اولا باول ، شفاها يسمعونه منه ، ويحفظونه عنه ، ومنهم من كان يكتفي بهذا السماع والحفظ الشفوى ، ومنهم من كان يحرص هو ايضا على أن يكتب لنفسه ، ويحتفظ بما كتب .

ولذلك كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ عشرات الآيات ، ومنهم من حفظ عشرات السور ومئات الآيات ،يتفاوتون في ذلك ، على قدر احوالهم وحظوظهم من الحفظ ، حتى كان منهم من حفظ القرآن كله ، ويذكرون من هؤلاء : ابا بكر ، وعمر وعثمان ، وعليا ، وطلحة، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وغيرهم .

وكان منهم من جمع الى الحفظ جودة الترتيل ، وحسن الاداء ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوه ببعض هؤلاء فقال : (استقرئوا القرآن من اربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وابى بن كعب ، ومعاذ بن جبل) وقال (من احب ان يقرأ القرآن غضا كما انزل ، فليقرأه قراءة ابن أم عبد) يريد عبد الله بن مسعود .

ولذلك ايضا لم تكن الصحف التي يكتبها كتاب وحى النبي صلى الله عليه وسلم ، هي الصحف الوحيدة التي جمع فيها القرآن ، ولكن كان هناك غيرها مما كتبه الاصحاب رضي الله عنهم لانفسهم

ومن الواضح ان صحف الرسول التي كتبت بامره ، وباشرافه ، كانت هي الصحف التي عليها

المعول ، واليها المرجع حين جاء الدور الاخير لكتابة المصحف ، كما سنتبين .

٤ ــ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث من الحفاظ من يعلم المسلمين القرآن فى خارج مكة او المدينة ، فقد بعث مصعب بن عمير ، وعبد الله بن ام مكتوم ، الى المدينة قبل الهجرة ليعلما الناس القرآن ، ولما فتح مكة وخرج منها الى حنين ابقى فيها معاذ بن جبل ليعلم اهلها القرآن وشرائعه .

٥ ــ كان جبريل عليه السلام يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ويدارسه القرآن ، وقد صح فى ذلك انهما كانا يجتمعان لهذا الغرض فى رمضان من كل عام ، فيتدارسان القرآن مرة فى كل سنة، وانهما تدارساه مرتين فى آخر سنة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٦ ــ كان النبى صلى الله عليه وسلم ينهى الناس عن كتابة شىء عنه سوى القرآن ، وذلك لكيلا **يختلط القرآن بغيره ، وكان يقول (من كتب عنى سوى القرآن فليمحه) نعم قد ورد فى بعض** الروايات انه اجاز ذلك ، بل انه امر بكتابة كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم ، لرجل اسمه ابوشاه، حين رغب اليه فى ذلك ، فقال صلوات الله وسلامه عليه (اكتبوا لأبى شاه) ، ولكن هذا لا ينافى ان الاتجاه والميل فى غالب الاحوال انما كان الى عدم كتابة ما سوى القرآن ، بدليل ان السنة حين دونت انما دونت من أفواه الرواة والحفاظ فى أكثر الاحوال ، لا من صحف كانت قد كتبت من قبل .

وينبغى ان يعلم أن حادثة كحادثة ابى شاه او مثلها ، لا تكفى وحدها فى ابعاد هذه الفكرة مع قيام كثير من الشواهد عليها .

وبهذا كله يتبين ان القرآن الكريم قد أخذ حظه من العناية به ، والمحافظة على نصه ، فى هذه المرحلة ، التى هى الاساس الاول ، وعليها تقوم الثقة والاطمئنان الكامل الى تحقيق هذا النص الالهى المقدس .

(ب) المرحلة الثانية الجمع البكرى العمرى :

١ ــ ظهر مما سبق ان القرآن كان مكتوبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العسب واللخاف والرقاع والقتب ، وان ذلك هو الذى كان متيسرا يومئذ ، وان هناك اصحابا كتبوا لانفسهم على تفاوت فيما بينهم كثرة وقلة ، واصحابا آخرين حفظوا على تفاوت ايضا ، تلقيا بالمشافهة عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

٢ ــ وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والحال على ما وصفنا ، القرآن مكتوب محفوظ ، والناس يقرءونه ويقرئونه ، لا يكادون يختلفون بعد ان توحدوا على حرف واحد من الاحرف السبعة التى كانت مباحة من قبل ، تيسيرا على الناس .

ولكن كبار القراء والحفاظ لهم اعمارهم المحدودة ولابد أن تأتيهم آجالهم قريبا او بعيدا فيفقد بفقدهم مصدر هام ، أو مرجع هام من مراجع تحقيق النص القرآنى ، ولا سيما وهم يشتركون فى الحروب والغزوات لنصرة الاسلام ، ورد الخارجين عليه الى الطاعة ، فلم يكن من الحكمة ان يترك هذا الاحتمال قائما مهددا بضياع القرآن او بعض القرآن .

ــ حاشا لله ــ وهو الذى وعد بحفظه .

لذلك وقر فى نفس ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ، انه لابد من قرار حاسم سريع فى هذا الشأن ، فقرروا بعد التشاور كتابة القرآن الكريم وجمعه فى مصحف واحد بين دفتين ، حتى يكون معروفا لجميع الناس ان هذا هو كتاب الله تعالى.

يدل على ذلك مارواه البخارى وغيره : ان زيد ابن ثابت قال (أرسل الى أبو بكر ، فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابو بكر : ان عمر بن الخطاب أتانى ، فقال : ان القتل قد استحر بقراء القرآن ، وانى اخشى ان يستحر القتل بالقراء فى المواطن ــ اى فى الغزوات وساحات القتال والحروب ــ فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ! قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورايت فى ذلك الذى راى عمر . قال زيد . قال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ــ فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان على اثقل مما امرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال هو والله خير ، فلم يزل ابو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال - أى انه كان يجمع فى سبيل التحقيق والوصول الى النص القرآنى بدقة تامة ، بين قراءة ماهو مكتوب فى العسب واللخاف ، وبين استقراء الرجال مايحفظونه ، فلايكتفى بواحد منهما حتى يؤازره بالطريق الآخر زيادة فى الحيطة ووصولا الى اليقين - قال زيد : ووجدت آخر سورة التوبة مع ابى خزيمة الانصارى لم اجدها مع غيره : « لقد جاءكم رسول من انفسكم » حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند ابى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصه بنت عمر رضى الله عنها) .

ويؤخذ من هذا النص الصحيح المعتمد مايأتى :

١ - ان هذا الجمع كان بمشورة عمر ، عن رأى واجتهاد له ، وان ابا بكر وافقه بعد المراجعة ، وعهد بجمع القرآن الى زيد بن ثابت .

وقد يشتبه الأمر على بعض الناس فيظن ان هذا الجمع كان فى عهد عمر ، لا فى عهد ابى بكر ، ولكن هذه الرواية الصحيحة واضحة فى ان ذلك كان على عهد ابى بكر ، وان الذى اشار به وعاون عليه هو عمر . فيمكننا ان نسميه الجمع البكرى العمرى ، لان ابا بكر امر به بناء على اقتراح عمر وبمعاونته .

٢ - ان الفرق بينه وبين ماكان على عهدرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان المكتوب فى عهد الرسول كان مفرقا فى العسب واللخاف وغيرهما، وليس صحفا مجموعة بين دفتين ، اما الجمع البكرى-العمرى فكان خطوة اخرى ، حيث جمع القرآن من هذه الأشياء ومن صدور الرجال الحافظين ، وكتب فى صحف متلائمة يمكن ضمها بين دفتين ، وقد اختلف العلماء فى نقطة هنا ، وهى : هل كان الجمع البكرى العمرى على ورق اوعلى صحف من الاديم اى الجلد اوعلى القراطيس المتخذة من ورق البردى ، وهذا شىء لا يؤثر فى الموضوع ، فهو جمع للقرآن على كل حال فى صحف متناسبة يمكن ضمها واعتبارها كتابا ، وذلك يختلف عن كتابة القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ كان على اشياء غير متناسبة منها ما هو جلد ، ومنها ما هو خشب ، ومنها ماهو حجر .. الخ .

وفى ذلك يقول الحارث المحاسبى : (كتابة القرآن ليست بمحدثة ، فانه صلى الله عليه وسلم كان يامر بكتابته ، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والاكتاف والعسب ؛ فانما امر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعة ، وكان ذلك بمنزلة اوراق وجدت مبعثرة فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشرا ، فجمعها جامع ، وربطها فى خيط حتى لايضيع منها شىء) .

٣ - ان الغاية من هذا الجمع كانت المبادرة بعمل حاسم يحفظ به القرآن من الضياع بعد ان اخذت الحوادث تنبه الى الخطر بموت فريق من كبار القراء فى بعض المعارك ، وتوقع ان يموت آخرون فى معارك اخرى .

وقد يرد هنا سؤال خلاصته : الم يكن القرآن مكتوبا على عهد الرسول ، وكان محفوظا بهذه الكتابة من الضياع ، فكيف يخاف عليه من موت القراء ؟

والجواب : ان المكتوب على عهد رسول الله ، كان هو نفسه معرضا لأن يفسد أو يتآكل أو ينطمس بعضه بطول الزمن ، فخافوا ذلك ، فبادروا بهذا العمل وتحروا فيه أعظم التحرى جامعين بين المكتوب وما حفظ فى القلوب .

وقد يرد سؤال آخر : كيف ثبتت قرآنية قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم » الى آخر سورة براءة ، مع ان زيد بن ثابت يصرح بانه لم يجدها الا عند ابى خزيمة الانصارى ؟

والجواب : انه قد ورد فى غير هذه الرواية ان هذه الآية كانت أيضا عند ابى بن كعب ، لذلك حملوا الكلام فى رواية زيد على انها لم توجد مكتوبة الا عند ابى خزيمة الانصارى ، وان كانت قد وجدت محفوظة عند سواه حفظا قلبيا .

هذه هى المرحلة الثانية من مراحل المحافظة على النص القرآنى ، وهى تعتبر من حيث الجمع المرحلة الاولى واما المرحلة السابقة عليها فهى

مرحلة الكتابة والاثبات على عهد الرسول .

ولهذا ينبغي الا يشتبه علينا الامر اذا تحدث بعض الناس عن عهد الجمع البكري العمري فقالوا « الجمع الأول للقرآن » .

***

(ج) المرحلة الثالثة : مصاحف عثمان .

١ – لم يكن هدف الجمع البكري العمري الا المحافظة على بقاء القرآن كما قلنا ، خوفا من ان يعترى المكتوب في عهد الرسول فساد او ضياع او نحو ذلك .

وقد اهتم كثير من الصحابة رضى الله عنهم – يحدوهم هذا الروح نفسه – بكتابة صحف أو مصاحف خاصة لهم ، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعده ، ولا سيما بعد أن عرف ان ابا بكر وعمر لم يريا بأسا بجمع القرآن ، وان عدم فعل هذا في زمن الرسول لايدل على انه ممنوع .

لهذا اشتهر أن لأبى بن كعب مصحفا كان معروفا يقرأ به اهل دمشق وسوريا ، وان لعبدالله ابن مسعود مصحفا كان يقرأ به اهل الكوفة ، وان لابى موسى الاشعرى مصحفا كان يقرأ به اهل البصرة ، وان للمقداد بن الاسود مصحفا منتشرا بين اهل حمص .

وكان في هذه المصاحف حروف من الاحرف السبعة التي كانت مباحة اول الامر ، مثل «ارشدنا الصراط المستقيم » بدل « اهدنا الصراط المستقيم » .

وكان في بعضها كلمات زائدة لم تنقل بالتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم مثل «متتابعات» في مصحف ابن مسعود ، مما حمل على انه تقييد لقوله تعالى في القراءة المتواترة : « فصيام ثلاثة ايام » له حكم السنة المشهورة ، وليس له حكم القرآن المتواتر .

وكان مثل هذا الاختلاف ايضا باقيا في الناس حتى أن اهل المدينة انفسهم كانوا يختلفون على عهد عثمان ، فكان المعلمون الذين يعلمون القرآن ربما اقرءوا الغلمان بقراءات مختلفة وكان الغلمان الذين يتعلمون يتمسك كل منهم بقراءة من اقراه وينكر الاخرى .

ومن هذا وذاك اطلت بوادر خلاف يوشك ان يشتد ، وذلك لان صحف الجمع البكرى العمرى محفوظة عند حفصة ، ليست في متناول الايدى وليس لها مظهر فعلى نافذ يجتمع الناس عليه ، ويحول بين القراء المختلفين ومايختلفون فيه .

لهذا بدأت مخاطر الاختلاف تطل برأسها في عهد عثمان ، وكان لابد من عمل حاسم يقطع دابر هذا الاختلاف ويجمع الناس على النص المتواتر الثابت ثبوتا قاطعا عن رسول الله ، المحفوظ في الصحف وفي صدور الرجال بطريقة لايعتريها الشك ، وهذا مافعله عثمان رضى الله عنه .

٢ – فقد روى البخاري عن انس بن مالك انه قال : ان حذيفة ابن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى اهل الشام في فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق ، فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا الصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها اليك فارسلتها اليه ، فأمر زيد بن ثابت وجماعة فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم انتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا ، وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) .

وهذا النص يفيدنا :

أولا : ان كتابة القرآن في المصاحف على عهد عثمان كان هدفها جمع الناس على مصحف امام حتى لايختلفوا اختلاف اليهود والنصارى الذين تعددت لديهم نسخ الانجيل والتوراة وصار كل فريق يتعصب للنسخة التي يعتمدها ، فلو بقى لدى المسلمين مصاحف متعددة ، كمصحف ابن مسعود ، وأبي والمقداد وأبي موسى وغيرهم لاختلفوا وتعصبوا كما اختلف اليهود والنصارى .

ثانيا : ان اعتماد عثمان ولجنته التي وكل اليها هذا العمل كان على صحف الجمع البكرى العمرى التي كانت محفوظة عند حفصة بنت عمر ، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد علمنا أن هذه الصحف كانت تشتمل على القرآن مأخوذا

أسئلة من بورسعيد

للدكتور محمد أحمد خلف الله

ذكرت فى مقالى السابق ان اخواننا البورسعيديين قد طرحوا الوانا من الاسئلة على السادة الذين حضروا ندوات اسبوع الكتاب العربى من المؤلفين ، واخترت من هذه الاسئلة الوانا تكشف عن احتياجات السائلين، واحتياجات الشباب العربى ، الثقافية . وطلبت فى نهاية المقال ممن يقدر على الاجابة ان يتفضل ويجيب ، وها انذا ابدا الاجابة عن بعض هذه الاسئلة :

والسؤال الاول هو :

ـ لماذا تعتبر الدول الراسمالية اكثر تقدما ومدنية من الدول الاشتراكية ـ وخاصة فى المجتمع العربى ؟ .

ويبدو ان السائل لم يفطن الى انه يخلط بين السبب والوسيلة ، فظن الوسيلة الى التقدم هى السبب فى التاخر . او ظن ان الاشتراكية هى السبب فى تخلف بعض الدول .

ان التقدم والتخلف انما يرجعان الى اسباب ليست الاشتراكية من بينها . فالتقدم انما يجىء من قدرة الشعب على السيطرة على مقدراته ـ المادية والمعنوية . السيطرة على الطبيعة واستغلال مواردها وحسن توزيع الوسائل التى يهيئها لنا استثمار الموارد الطبيعية والبشرية . والتخلف انما يجىء عن العجز فى واحدة من هذه او فيها كلها . وهو عجز قد يجىء من ضعف الشعوب امام قوى الطبيعة او ضعفها امام شعوب اخرى اكبر منها قوة ، او اكثر منها عددا تسيطر عليها وعلى مواردها .

والدول الاشتراكية هى الدول التى عجزت

عما كتب فى عهد الرسول مؤازرا بما حفظه اصحابه تلقيا عنه .

ثالثا : ان عثمان كتب عدة مصاحف وبعث الى كل أفق بمصحف ، والرواية التى معنا لم تحدد عدد هذه المصاحف ، وقد اختلفت الروايات الاخرى فى تحديد هذا العدد ، ورجح بعضهم انها كانت سبعة مصاحف .

رابعا : ان عثمان ولجنته قد اقروا منهجا معينا فى رسم المصحف اى فى كتابته ، وكان هذا المنهج هو ان يكتبوا القرآن بالرسم الذى يتفقون عليه فان وجد خلاف بينهم فى كلمة كيف ترسم كتبوها بما يصور نطق القرشيين لان القرآن بلغتهم نزل .

ويفسر لنا ذلك ابن كثير حيث يقول « ان هؤلاء النفر الاربعة ـ وهذا يفيد ان اللجنة كانت من اربعة ـ جلسوا يكتبون نسخا من القرآن ، فاختلفوا فى «التابوت» ايكتبونه بالتاء او بالهاء ، فقال زيد بن ثابت : انما هو التابوه ، وقال القرشيون الثلاثة : انما هو التابوت ، فتراجعوا الى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فان القرآن نزل بلغتهم » .

خامسا : ان عثمان أمر بما سوى ذلك من المصحف والمصاحف أن يحرق ، وهو عمل حسن وافقه عليه جمهور الصحابة ، وان عارض فيه بعضهم كابن مسعود ، فلم يكن راضيا عن ذلك اول الامر ثم روى عنه أنه أقره أخيرا .

ومهما يكن موقف ابن مسعود والاسباب الباعثة عليه ، فان الصحابة وافقوا على ذلك ، فلا معول على مثل خلافه الفردى ، ولم يكن ينحها أن يعولوا عليه فان صحف الجمع البكرى العمرى قاطعة ثابتة عن رسول الله بطريقة لا شك فيها ، مؤيدة بما حفظه الاصحاب عن الرسول تلقيا بالمشافهة ، وليس من الراى ان نترك القاطع ، ونأخذ بالرواية الاحادية ، فالخير كل الخير فيما فعله عثمان ، وارتضاه المسلمون .

ولم يبق بعد هذا الا صحف الجمع البكرى العمرى ، فقد ردها عثمان رضى الله عنه الى حفصة ، فبقيت عندها حتى توفيت ، ثم اخذها مروان بن معاوية من اخيها عبد الله بن عمر ، فحرقها او شققها ، وبذلك لم يعد فى المسلمين الا مصاحف عثمان ، وسد الله بذلك باب الفرقة والاختلاف فى شان القرآن الى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين .

محمد محمد المدنى

فيما مضى عن السيطرة على مواردها واستثمارها . عجزت عن ذلك قبل ان تكون اشتراكية . والتاريخ يدلنا على ان اكثر هذه الدول ، حتى الغربية منها ، كان فى حوزة الاستعمار . والدول الغربية منها ، واكثرها فى شبه جزيرة البلقان ، كان خاضعا للاستعمار التركى او استعمار دول وسط اوربا .

ان الاشتراكية ليست الا الوسيلة لتقدم هذه الدول من حيث انها تنادى باستثمار موارد الطبيعة واستخدام الوسائل العلمية فى ذلك . وتنادى بالعدالة فى توزيع الثروة ، وتعبىء الجهود البشرية فى سبيل كل ذلك ، وتصدر من القوانين ما يحقق كل ذلك .

انها تفعل ذلك كله ، وتحدده فى خطوات هى السنوات الخمس او العشر للتخطيط . لتصل الى التقدم والمدنية فى اقصر وقت ومن أيسر السبل .

الاشتراكية وسيلة للتقدم وليست سببا للتاخر كما ظن السائل الكريم .

والسؤال الثانى هو :

ـ فى امريكا بلغت الراسمالية اعلى مراحلها . وفى الاتحاد السوفييتى تشاهد الاشتراكية المتطرفة ، والدولتان بلغتا من القوة والعظمة فى جميع الميادين مبلغا عظيما .

فما رايكم فى هذه الظواهر فى ضوء الحتمية التاريخية ؟ ؟

والاجابة عن هذا السؤال ترتبط الى حد ما بالاجابة عن السؤال السابق من حيث ان روسيا قد اتخذت من الاشتراكية وسيلة للتقدم ، وان هذه الاشتراكية قد حققت لها بعض اسباب التقدم ، ووصلت بها الى هذه القوة ، وهذه العظمة ، التى يتحدث عنها السائل .

ان المشكلة فى السؤال انما تكمن فى الحقيقة فى تلك المشكلة التى تصورها السائل عن العلاقة بين الراسمالية الامريكية وما بلغته امريكا من قوة وعظمة وبين الحتمية التاريخية التى ذهب اليها ماركس واتباعه .

والمسالة هنا خطأ ذهنى كما هو الحال فى السؤال السابق .

ان ماركس حين اقام مذهبه انما اقامه على دراسات وابحاث قام بها فى المجتمع الاوربى ولم يقم بها فى المجتمع الامريكى . ومن هنا يصح القول بان الحتمية التاريخية لا علاقة لها بالراسمالية الامريكية .

لكن السائل قد يقول لراسمالية هى الراسمالية ، والطبقية هى الطبقية ، والاستغلال هو الاستغلال ، وما ينطبق على هذا فى مكان ينطبق عليه فى مكان آخر ، والمشكلة قائمة هنا كما هى قائمة هناك .

ان هذا هو الخطأ الذهنى الذى اشرت اليه سابقا ، والذى يكشف عنه تدبر خصائص الطبقية والراسمالية فى المجتمعين الاوربى والامريكى .

ان الراسمالية فى امريكا لم تخضع للنظام الطبقى ومعتقداته وامتيازاته كما كان الحال فى الراسمالية الاربية .

ان الطبقية فى اوربا انما تعنى مجموعة من الناس تعتقد انها ممتازة عن بقية الطبقات ، وينتسب اليها الشخص لمجرد انه ولد من بينها ، واصبح واحدا من افرادها . وهى نتيجة للنظام الاقطاعى . انها موروثة وغير مكتسبة .

هذه الطائفة من الناس تفصل نفسها عن الطبقات الاخرى . وتحرص على الا يزداد عددها بانضمام احد افراد الطبقات الاخرى اليها ، وترى ان شرفها يدنس ان هى رفعت الكلفة بينها وبين عامة الناس .

ان كبرياء هذه الطبقة وشرفها يتوقفان فى نظرها على ان افرادها اعضاء فى مجموعة خاصة ـ لا على اية كفاءة شخصية ـ ولذا تغار على هذا الشرف من كل دخيل .

ثم ان هذه الطبقة تعتبر العمل المتواضع مهدرا للكرامة ومذلا للنفس . ومن هنا تنظر الى الاعمال التجارية والصناعية باحتقار ، وترى الحياة المثلى فى حياة الفراغ والبطالة . ومن هنا كثرت المقامرة ، وكثر السكر والعربدة بين افرادها .

هذه الطبقة نشات على انها تعيش على مجهودات الآخرين ، وتفننت بما تنعم به من امتيازات . ومن هنا كان حلالا فى عرفها السلب والنهب واستغلال جهود الآخرين .

هذه هى الطبقة التى حاربها ماركس ايمانا منه بان الامتيازات الطائفية من مستلزمات النظام الراسمالى ، وأنها كامنة فيه . وايمانا منه ايضا بان الرأسمالى لا يحوز على مكاسبه الا بالجمع بين النفوذ السياسى والتفوق الاقتصادى — اى بنفس الطريقة التى كان يتبعها الاقطاعيون والحكام الاقدمون .

والسؤال الذى يكشف عن الاجابة او عن الخطأ الذهنى هو هل الراسمالية الامريكية لها نفس الخصائص التى كانت فى المجتمع الأوربى الذى استمد ماركس من دراسة احواله ما وصل اليه من نظريات ؟؟

ان الاجابة لا . والسبب واضح . فالمجتمع الأمريكى عبارة عن جماعة من المغامرين هاجروا من كل بلاد أوربا فى سبيل الثروة ، وحققوا فعلا او حقق الكثيرون منه ما كانوا يصبون اليه من جمع المال ، ووصل بعضهم الى نفوذ ضخم حقق به اغراضه — ولكنهم مع كل هذا لم يستطيعوا تكوين نظام طبقى ، وظل الكثيرون منهم افرادا يجوز عليهم الفقر كما جاز عليهم الثراء . وكانوا جميعا يعاملون العمال على أنهم اجراء أو شركاء لا على انهم عبيد راس المال .

ان المجتمع الامريكى يمضى الآن على اساس ان الرجال الاحرار يمكنهم بمهاراتهم وبالتعاون ان ينتجوا الثروة التى تكفى الجميع وتزيد . وان العمل الناجح يجب ان يتفادى سلب اى شيء من اى انسان . وان كل صناعة او كل تجارة يجب ان تكون مربحة لكل من يشتغلون فيها والا فانها تعد فاشلة .

ان المخترعات الحديثة اصبحت تمثل الجزء الأكبر من الراسمال الأمريكى ، واستخدامها على افضل وجه هو الاساس الاول فى تنمية الثروات .

هذه الحقيقة جعلت اليد العاملة ليست الأساس الاول فى الانتاج ، وجعلت العامل الذى يدير الآلة شريك صاحب العمل ، او على اقل تقدير رفعت من شانه وجعلت له مركزا ممتازا عنده .

كل هذه الظواهر لم تكن تحت بصر ماركس وسمعه عندما دون نظريته . ثم انها أيضا لا تشبه تلك الظواهر التى كانت تحت سمع ماركس وبصره عند دراسته للمجتمع الأوربى . ومن هنا تكون خارجة عن نطاق تلك الحتمية التاريخية .

انى لا اقصد ان انفى عن المجتمع الامريكى عيوب الراسمالية ، وانما اقصد فقط الى ان ماركس لم يقصد الى هذا المجتمع عندما تحدث عن الطبقية والراسمالية والحتمية التاريخية .

والسؤال الثالث هو :

— نقرا كثيرا عن الاشتراكية العربية — فهل هناك خلاف بينها وبين الاشتراكية العلمية ، وما مداه .

وفى الاجابة عن هذا السؤال اذكر هذه الفقرات لأحد اخواننا الاشتراكيين العرب :

١ — الاشتراكية القومية مقصودة بذاتها وليست جزءا من فلسفة عامة لتكون وليست جانبا لنظرية أكبر — اى ان الاشتراكية القومية لا تخدم غير قضية الشعب العربى فى التحرر والوحدة والتقدم .

٢ — الاشتراكية القومية **مثالية اخلاقية تؤمن بالروح وتعمل على تقوية الانسان وجعله فى وضع يستطيع به ان يسيطر على الظروف والمادة وقيود الفقر والحاجة — اى انها تسعى لتقوية الأخلاق العامة ومنع الرذيلة والتفسخ والكفر والتطرف والتمرد على العرف الانسانى .**

٣ — انها انسانية تؤكد على الانسان وتعمل لرفع قيمته وحفظ كرامته وتجعل منه كائنا مستقلا منتجا يشعر بمكانته فى المجتمع . فالانسانية لا تتسق وتتفتح الا اذا تفتحت انسانية الفرد وتغلبت على الجانب الحيوانى فيه .

فالانسان ليس مجرد وحدة اقتصادية مادية تتحدد قيمتها بمقدار ماتنتج بالنسبة لكلفة الانتاج .

٤ — انها متطورة مرنة لا تتقيد بقواعد ازلية مطلقة بل تفتح صدرها لكل التدابير العملية والتنظيمات الجديدة التى تكفل المحافظة على مبادئها — اى انها متفتحة على خبرة البلدان الأخرى وتجارب التنظيمات الاقتصادية فى العالم .

٥ — الاشتراكية القومية تتجه لمجموع الشعب وتعمل لرفع مستواه وتقويته فى الدفاع عن نفسه وتحقق له الوحدة والتماسك الاجتماعى .

دكتور

محمد أحمد خلف الله

الأدب بين الأثرة الفردية والروح الجماعي

للدكتور عبد الرحمن عثمان

لهذا البحث صلة قوية بتحديد اثر المجتمعات على اختلاف أنظمتها في الاديب ورسالته ، فمثل هذا التحديد سيوضح لنا نوع العلاقة التى تصل الاديب بمجتمعه ، وهو يرسم لنا بالتالي سبيل التعرف على الالوان الفنية ، والمناهج الفكرية في الانتاج الادبى على اختلاف العصور وتباين المجتمعات .

ولا ريب فى تأثر الاديب بمجتمعه ، وانفعاله باحداثه الكبرى ، وقضاياه العظام ، والنتاج الادبى يحمل بالبداهة طابع العصر من عادات ، وتقاليد ، وأخلاق ، والا كان أدبا غريبا عن البيئة ومعبرا عن شيء لا يتصل بها ، فلا جرم أن يبدو كالنغمة النشاز فى اللحن الجميل .

ولكن ، هل هذا التأثير الذى تحدثه المجتمعات فى نطاق الأدب ، يعتبر الرسالة التى ينبغى أن يحمل لواءها الاديب فى عالمه ؟ ، أم أن للاديب مثل هذا التأثير على المجتمع الذى يعيش فيه ، بما يستحدث من مناهج ، وما يدعو اليه من مبادىء ، هى فى جملتها قريبة الشبه بنتائجها بنهج علماء النبات فى تلقيح الفاكهة والزهور .

ولست أريد أن أقسم الادب الى : موجه ، وغير موجه ، لان التوجيه جزء من حقيقة الآداب ، لا تتم الا به ، ولا تتحدد قسماتها الا على هديه وارشاده ، فرسالة الفن انسانية تجمع بين المتعة وبين تهيئة عالم يعمر بالسعادة والخير للمجتمعات البشرية ، ومن هنا نشعر ان أدب اللذة ذاتى صرف ، لانه خلا من العنصر الانسانى الذى يقوم على التوجيه الممتع للنفوس نحو آفاق روحية ساحرة ، أو حياة مادية أسمى وأفضل ، واذا كانت بعض نماذج هذا الادب تعمر بالجمال وتزخر بالفتنة ، وتتحقق بهما المتعة الفنية ، فان ذلك سيظل فى نطاق ضيق بين الخاصة من أهل الذوق ، ولكنه لن يتصل بالشعور الجماعى على كل حال .

والشأن فى الادب الخالد أن يصعد بالحياة دائما ، وأن تتخذ منه المجتمعات الانسانية رائدها الذى لا يكذبها أبدا ، ولئن ضلت به السبيل ، أو عميت عليه المسالك فى بعض الفترات ، فذلك لاسباب خارجة عن مفهومه ، وغير لاصقة بطبيعته الاصيلة ، فان اختلال الموازين ، واضطراب القيم فى مجتمع من المجتمعات ، يلف بعض النفوس من ذوى الادب بأغشية قاتمة من اليأس أو الأسى ، فترين على الافئدة والخواطر ظلمات تشيع فيها القلق مما يزعزع ايمانها بالمثل والقيم جميعا .

والاديب الانسانى يشعر فى أعماقه شعورا قويا أن لمجتمعه عليه حقوقا واجبة الأداء ، ومملكته العتيدة التى يرف تاجها على جبينه تضم المظلومين والمضطهدين وضعاف الحيلة ، فينبغى أن ينافح بأدبه عن حقوق المستضعفين والاجراء ، وان يعزف لهؤلاء وأولئك فى كثير من التنوع الحان الحرية ، والعدالة ، والمساواة ، بحيث يشجيهم اللحن ، وتستثيرهم النغمة ، ولاتزال تلك رسالته حتى يتحرر بها الأرقاء والمستعبدون ، ويستشرف اليها الجاثى فينهض ، واليائس فيؤمل ونجاح الاديب فى رسالته تلك يقاس بمقدار ما يثير من خواطر ، وبما يجدد من عزمات ، وما يذيق من حلاوة الحرية ، وجمال العدل .

والاديب المؤمن برسالته لا يمكن أن يتحول عن هذا النهج ، ولا يطيق أن يتنكر له حتى فى احلك أيامه ، وأشدها عليه مرارة ، لان ايمانه بجلال رسالته يزيده بها استمساكا على استمساك ، فالايمان وحده يشد ماساته – ان كانت له ماساة – يماسى خلطائه ومواطنيه ، وبهذا يتسع قلبه الكبير الى آلام الضعفاء ، وربما التمس شفاء نفسه من آلامها فى اعداد الدواء لتلك النفوس الذابلة من أوجاعها ، وهى مع ذلك قد لا تملك حتى أن تئن أو تتوجع !! .

وخليق بمجتمعنا الاشتراكى أن يعتز بالادب ، ويكرم الاديب ، لان الاتجاه الاشتراكى جزء هام من من الرسالة الادبية التى تعتز بالحرية ، وتنشدها فى العدالة والمساواة بين جميع الطبقات العاملة .

فاما اتخاذ الادب حرفة فهو مجاف لمجد رسالته الانسانية ، ولكن قد تدعو اليه ضرورة ملحة من ضرورات الحياة من فاقة ، أو مضى فى رغبات النفس واهوائها ، مما يزين للاديب الانحراف عن سنن الجادة استجابة لالحاح لا هوادة فيه من ضنك العيش ، او عرامة الشهوات ، وليس من الانصاف فى شيء أن نتخذ من مثل هذه الظاهرة الشاذة قاعدة تجرى عليها

أحكامنا في هذا الصدد ، فالاديب نفسه ، وان نزل على حكمها القاهر ، يحس في أعماقه بالالم الذي قد يتحول الى سخرية عميقة كما نرى ذلك عند الشاعر ابن الرومي ، وتصويره الدقيق لهذه الظاهرةالغريبة يهدينا الى طبيعة الاديب ووفائه لهذه الطبيعة ، فقد غضب ابن الرومي غضـــبة الاديب الذي أحس بانه امتهن نفســه ، حين يقول لمن تملقه لينـال عطاءه ، ولكنه لم يظفر منه بطائل :

ان كنت من جهل حقي غير معتذر
أو كنت عن رد مدحي غير منقلب
فاعطني ثمن الطرس الذي كتبت
فيه القصيدة ، أو كفارة الكذب

ولكنه حين يرتد اليه طبعه يشعر شـعورا كريما بعزته التي لا يجدر به أن يرخصها في سوق المطامع والرغبات ، وكأنه يشرع لمن هم على شـــاكلته من الشعراء حتى لا يتورطوا فيما تورط فيه ، قال :

واذا امرؤ مـــدح أمرا لنواله
وأطال فيـــه فقـــد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيـــه بعد المستقى
عند الورود لما أطال رشـــاءه

وسواء أكانت تلك النظرة الفنية أحبولة من أحابيل ابن الرومي في استعطاف ممدوحه ، أم كانت تشريعا للابقاء على العزة الادبية ، فانهـا لا تريق من كرامة الشعراء على كل حال .

وهذا الاتجاه الذي اذهب اليه ، قد تصـوره في الشعر العربي مواقف لشعراء آخـرين درجوا في مجتمعات لا تؤمن بما يقوم عليه مجتمعنا الاشتراكي وهي مواقف اشبه ما تكون بومضات نفسية تتألق في كيان الشعراء ، ولكنهم يجاهدون في اخفائها حتى لا تفضح ايمانهم بها أمام حاكم لا يرى الا نفسه ، أو في مجتمع مريض بالنفاق والملق ، والشاعر حريص على سترها حتى لا تكون سببا في انتقاص العطايا ، أو وسيلة من وسائل النبذ من المحيط الذي يعيش فيه ، فنحن نعرف حياة شاعر العربية ابي الطيب المتنبي وما كانت تحفل به من طموح وكبرياء فتى ، الى جانب الابتذال الذي عرف له في سبيل المـــال وجمع الثروة ، ومع هذا التناقض الواضح في نزعاته نجده يفيء في بعض أحواله الى دوحة الادب وحدها يستظل بها حين تلفحه حرارة مطامعه ، ويستشعر من نفسه الصغار والهوان ، وتلك فلسفة في باب السخرية اشتهر بها المتنبي من بين شعراء العربية ، اذ يقول في مدح كافور الاخشيدي :

ولله سر في عـلاك ، وانما
كلام العـدا ضرب من الهذيان

ثم يمضي في القصيدة نفسها ليقول :

فمالك تختـــــار القسي ، وانما
عن الســعد يرمي دونك الثقلان
ومالك تعنى بالأســنة والقنا
وجدك طعـــان بغــير ســنان ؟
ولم تحمل السيف الطويل نجاده ؟
وأنت غني عنــــه بالحدثان

والسخرية في البيت الاول ظاهرة لا تحتاج الى تعليق ، ومع هذا التعرض الجارح ينفلت الى غايته حيث تقوده مطامعه فيقول :

أرد لي جميـلا : جدت أو لم تجد به
فانـــك ما أحببت في أتاني

وظاهر هذا السياق البارع يفصح عما في نفس المتنبي من يأس وألم ، فالامور عنده تجري على غير قاعدة ، ومقاييس الحكم فيما يرى مختلة اختــلالا شديدا ، حيث ترفع كافورا وتتخطى ذوي الهمة من أمثـاله ، وقد بين ذلك حين يئس من كافور ، في قصيدته التي مطلعها :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافية
وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيـــا
ولولا فضول النـــاس جئتك مادحا
بما كنت في سري به لك هاجيـــا

والأمل معقـود في الابقاء على كرامة الادب وأهله على النظام الاشتراكي الذي يوفر السعادة لكل مواطن يعمل للجماعة ، ويدعو الى الحرية ، والعدل ، وبهذه العناية وحدها يختفي الملق والمدح الكاذب ، وتتلاشى النمـــاذج الادبية ، تلك التي تدور حول الذات ، وتحطب في حبل الأنانية ، ولن تسمع بعد ذلك من المتنبي قوله :

أنا في امـــة تداركها اللـــ
ـــه ، غريب كصالح في ثمود

ولن نسمع كذلك من أمثال الشاعر البائس عبد الحميد الديب قوله :

وطال حنيني للغنى ، ولو انني
حننت الى وجـه الاله بدا لي

دكتور : عبد الرحمن عثمان

فى العلاقة بين الناقد والنص الأدبى

للدكتور أحمد كمال زكى

فى مقال سابق راينا ان الحديث على المؤلف لا يخلو من اشارات الى النص فى ذات الوقت ، وهذا يدل على ان بين الفنان واثره وشائج ليس من السهل قطعها . ولكن النص مع ذلك يظل له شخصيته الفنية التى قد تختلف عن شخصية المؤلف ، فالأبله مثلا لا يمكن ان يكون دوستويفسكى ، وهاملت ليس شيكسبير الا اذا جعلنا روميو او جولييت او ماكبث او عطيل الشاعر الانجليزى بعينه .

النص — من الناحية النظرية — شيء والمؤلف شيء آخر ، لكنه على اى حال مادة التجربة ، والنقطة التى يختلف عندها النقاد ، فقد يناقشها ناقد كعز الدين اسماعيل مناقشة سيكلوجية ، وقد يبحث فيها لويس عوض عن المضمون الاجتماعى ، وقد تدفع مهنة الطب رمزى مفتاح الى ان يأخذها اخذا بيولوجيا ، واذا كان الناقد احد المدرسين الشكليين اغرقنا فى نظرية النظم كما خطط لها عبد القاهر الجرجانى او فى تطبيقات العلوى صاحب «الطراز» .

والاحكام الى هنا قد تكون صحيحة فى جملتها الا ان الاكاديميين لا يطمئنون اليها قبل عمليات التمحيص ، ولا سيما اذا كان النص لاديب قديم . وفى هذه الحال يحاول هؤلاء ان يتأكدوا من صحة نسبة النص الى صاحبه ، ويناقشوا اختلاف الروايات فيه ، ويرصدوا للانحرافات التى طرأت عليه قبل دراسته .

اما هذه الدراسة — وهى ليست وقفا على القديم فقط — فمتشعبة ، غير ان الدكتورة سهير القلماوى فى كتابها « دراسات فى النقد الادبى » تحصرها فى الاداة والصور ، والاداة هى اللغة بطبيعة الحال بالاضافة الى ما يصاحبها من ايقاع واخيلة ، واما الصور فهى الاشكال الفنية التى يصدر بها النص .

ونقطة الخلاف بيننا وبينها شكلية ، اذ طالما كانت ترى ان الصور التى تعنيها هى الملحمة والقصة والمقالة والمسرحية والقصيدة ، فمن المستحسن جمع هذه تحت ماتسميه بالضروب او الاجناس الادبية .

وفى هذه الحال يكون « اصطلاح » الصورة مما يدخل فى بحث الاداة ، والصورة هى التى يسميها البلاغيون قديما تشبيها واستعارة ونحو هذين مما يندرج تحت المجاز .

وبوسعنا ان نستخلص من كل مايدور حول النص انواعا من الاسس يسهل على الناقد ان يقيم عليها تحليله وتفسيره ، ولكن مشكلة النص اكبر من ان يلفق لها الحلول ، فهى تضرب فى صميم اللغة ، وفى الوقت نفسه تمتد امتدادات بلاغية ، كما انها تشترك مع الموسيقى فى الايقاع ، وتثير ايضا فى معرض العبارات قضية المضمون .

الامر ليس سهلا اذن ، ومن اكبر ما يدل على الصعوبة فيه اختلاف الآراء حول طبيعة الكلمة الادبية ، فهذه ان كان لها ان تؤدى وظيفة التعبير عن القضايا الموضوعية ، فسوف تظل على صفة بدائية اذا قورنت باللغة العلمية المتطورة تطورالحياة نفسها . ان رغبة الفنان فى اختيار « الانسب » وليس « الموضوعى » فى مجال الاستحضار او الاستدعاء — وهو تصوير خالص — توقعه فى اسر الذين سبقوه الى التجربة نفسها . ومن ثم نرى كيف يلجأ الشاعر — مثلا — الى اللغات القديمة او العبارات التقليدية ذات المفردات المتشابهة فى الموضوع الواحد ، فالفتاة الجميلة عند امرىء القيس هى هى تقريبا عند المتنبى ، ولا يحاول شوقى ولا ناجى ولا طه المهندس ان يخرجوا — تقريبا — من دائرة الشاعرين القديمين . وربما يكون القمر والغزال والعيون التى فيها حور ، القاسم المشترك عند الجميع !

وقد يكشف فقه اللغة عن تطور فى معانى بعض الالفاظ او يضع ايدينا على الفروق التى يهتدى اليها فى الصفات المختلفة ، غير ان صنيعه يظل نسبيا بعيدا عن صنيع الناقد العادى . فان كان هذا على حظ من الذكاء نحى جانبا كل شيء واستعاض عنه برصد « فكرة » النص بدلا من تقييم الصورة او قياس المدلول المحسوس .

والحقيقة ان الكلمات — وهى مجموعة رموز صوتية — حينما تنمو وتتطور تصبح « فكريتها » صارمة . ويكون دور الاديب شاقا فى ايجاد قاموسه الخاص ، وبقدر ماينجح فى تصفيته من الموروث التقليدى يجب ان ينجح فى اعادة البعد الصورى له ، بمعنى هذا ان يدخل المعركة فى ميدانين : احدهما

ميدان التخلص من القوالب القديمة ، والآخر ميدان التخلص من اصطلاحات العصر الفكرية وما يتبعها من أساليب أقرب اليها عبارات الجمهور القارىء بوجه عام .

نحن نؤمن بأن اللغة العصرية ارقى من لغة الاولين — على الاقل فى مدلولاتها المجتمعية — ولكن الاديب يعيش باحساسه اكثر مما يعيش بعقله ، بمعنى انه يفسر حياته تفسيرا قائما على الوجدان، وفى هذه الحال يتخلص كثيرا عن هذه اللغة الراقية . فان عجز امتلأت آثارم بالهتافات المبتذلة والشعارات التى يرددها الفاهم وغير الفاهم ، وما اكثر من ضاع من شعراء الشباب وهم ينقلون لغة الحياة اليومية الى قصائدهم !

ولو قد يتسنى للناقد ان يراعى هذا فيواجه تلك المشكلة الجديدة التى توجدها قاعدة ان مقدرة الفن على التعبير — كما وكيفا — رهينة بامكانيات الاداة، لفتح امام احكامه ابوابا عديدة تنفذ منها الى حيث ظاهرة السقوط تنبأ لبعض الاعمال الادبية .ولقد طالما قرانا قصائد فأحسسنا أن طاقة الشاعر اللغوية اصغر منهـا خياله ، وكم زهدنا فى حوار مسرحية احسسنا ان لغتها لا ترتفع الى مستوى الافكار !

ان الاديب الذى يختار قاموسه يستطيع ان يطوع مادته بحيث يكون كل يوافق كلا .. بلا فضول ، ولا ضيق ، ولا تعسر . وعلى ذلك تصبح قضية ملاءمة النص للتجربة موضوع سجال خصب ، ويرتفع الاديب فى نظر الناقد ما كان قد عبر بقدر ما احس .

ولكن هذه المطابقة تستلزم شيئا آخر هو موسيقية الكلمة . وخطر الموسيقية يظهر فى الشعر خاصة بغض النظر عن العروض ، اذ يتاح فى هذه الحال لون من البحث فى الايقاع الداخلى للكلمات وهى تتسق فى البحر العروضي بأكمله . ولكن الاحداث المنتظمة ذات الايقاع الرتيب فى الشعر ، تظل سمة العبارة فى الاعمال الادبية الاخرى ، والا افتقدت هذه الاعمال كثيرا من قيمها الجمالية الغامضة !

والحقيقة انه لا وجود للدلالات اللفظية بغير التعرف على جرس الكلمات فيها ، ولكن النقد الادبى يذهب الى ابعد من ذلك فيرى ان فى الامكان الوصول الى اقصى آفاق الجمال بتتبع جرس الالفاظ دون معانيها، واكثر مايكون ذلك عند الشعراء الرمزيين . ويعتمد كثير من الشعراء المحدثين اليوم على هذه الظاهرة، ومن أبرزهم سعيد عقل ونزار قباني وخليل حاوى .

ويرى الاخير ان الشاعر المعاصر فى التفاته الى « اللغة المحكية » انما يدخل فى الشعر ايقاعات جديدة مستمدة من طبيعة الحياة والعصر .

واذا كان التلازم قائما بين الكلمة وجرسها فلا شك ان المعول فيه هو المعنى ، ودعك من هـذه الكلمات التى غامت معانيها فى دوامة حكايتها على مر العصور .. فهذه يختلف دورها من موضع الى موضع ، فالشاعر الذى يقول اليوم : بخ بخ ! فى معرض التهليل ، او : حيطقطق حيطقطق ! ليحكى صوت الخيل وهى تعدو ، قد يثير عليه من السخرية ما لا يثار على قاص او خطيب ، لان للشعر موسيقيته التى ترتبط بمدلولات الالفاظ !

على ان العلاقة بين الجرس والمعنى تظل بعد ذلك علاقة صوتية ، ويستطيع الناقد العادى ان يسفر عما نبا منها وجفا وعما رق وقبل ، ويقاس نجاح الاديب من ثم بالبعد عن الغريب والحوشي والمهجور . فان كان ثمة تقديم وتأخير وحذف وذكر وما شابه ذلك ، فلأن موسيقية العبارة تريده بقدر مايريده المعنى .

وهكذا نرى الكلمة المفردة والجملة كاملة والتناسق بين الالفاظ فيها وما يتردد فيها من ايقاع .. نرى كل اولئك مجالا ينشط له الناقد فى النص ، وهو يستطيع — بالنسبة لنانحن العرب — ان يستعين بآراء قيمة خلفها لنا عبد القاهر الجرجانى فى النظم ، ولامثاله من البلاغيين لفتات اخرى لا تقل ذكاء عن لفتات ريتشاردز وغيره من التحليليين فى اوربا وامريكا .

ومهما يكن من شيء فقد بقى امامنا الحديث عن الصورة ، وفى هذه الصورة التى يشترك فى تكوينها الالفاظ ، والايقاع الذى يفرضها صوتيا على المتلقى، والخيال الذى يسهم فى اعطائها جمالياتها .. فى كل اولئك يبتعد النص عن الارتباطات الدارجة ، وينتقل الى مضمار الفن ، والحقيقة ان الكلمة المبتذلة — ولا اعنى المستهجنة — يجب ان يجعل لها ارتباط غير مألوف لتصبح غير عادية ، ويتم هذا عن طريق التشبيه الذى يجرى كثيرا فى كلام العرب « حتى لو قال قائل هو اكثر كلامهم لم يبعد » .

والتشبيه يذكرنا بالاستعارة ، لأنها منه وان تكن اقوى اثرا حتى قال ارسطو : « التشبيه استعارة ، والفرق بينه وبين الاستعارة طفيف » وقد عرف

الامام محمد عبده والاقتصاد

للأستاذ أحمد الشرباصي

كان الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده علما من اعلام الأزهر الشريف ، واماما من أئمة الدين فى العصر الحديث ، وكانت له جهوده الكبيرة فى العلوم الدينية والعلوم العربية ، وتتمثل هذه الجهود فى تدريسه بالازهر وبدار العلوم ، ووجوه نشاطه فى تحرير الوقائع المصرية ، والقضاء بالمحاكم الشرعية ومنصب الافتاء للديار المصرية ، وفى تفسيره للقرآن الكريم ، ودفاعه عن الاسلام ، ورده على المنتقدين للدين او للمسلمين .

ومع هذا فقد كانت للشيخ عناية واضحة بالموضوعات الاقتصادية ، يتعرض لها فى فتاويه احيانا ، ويشير اليها فى مقالاته احيانا اخرى ، ويخصص لها بعض المقالات المستقلة التى تدور كلها على الأمور الاقتصادية ، ولو رجعنا الى مجموعة المقالات والبحوث التى نشرها السيد رشيد رضا فى « تاريخ الاستاذ الامام » لوجدنا بينها مقالة اقتصادية طويلة كتبها سنة ١٨٨٠ بعنوان « حب الفقر وسفه الفلاح » ، ومقالة ثانية بعنوان « فلسفة الصناعة » ، ومقالة ثالثة بعنوان « ما هو الفقر الحقيقى » ، ومقالة رابعة عن «وخامة الرشوة» الى غير ذلك من المقالات .

وعلى الرغم من ان الامام محمد عبده قد كتب فى الاقتصاد منذ وقت مبكر وقبل أن يصبح للدراسات الاقتصادية كيان ومنهاج وكتاب ؛ فقد كانت له فى هذا المجال نظرات وخطرات تدل على سعة الافق ، وعلى روح العالم الذى يريد ان يربط الدين بالدنيا ؛ وان يقرن المادة بالروح . وان يبين ان التدين ليس معناه السلبية او الانعزال عن الحياة بما فيها من طاقات وخيرات .

فلننظر اليه مثلا وهو يعرف « الاقتصاد » فيقول :

« الاقتصاد هو فضيلة منفضائل الانسان الجليلة بل هو من اهمها ، مدحته جميعالشرائع وبينتفوائده وهو كغيره من الفضائل مركب من امرين : بذل وامساك ، اعنى ان الاقتصاد هو التوسط فى الانفاق ، بحيث لا يبسط صاحب المال يده كل البسط حتى لايبقى فيها شيئا ، ولا يقبضها كل القبض حتى لا يخرج منها شيئا ، بل ينفق من ماله حسب حاله ، يقدم الأهم فالمهم ، فيدفع الضرورة ، ويقيم البنية ، على قدر ما يناسب درجة غناه وفقره ، مع حفظ بقية من كسبه يعدها للعوارض غير المنتظرة التى قلما ينجو الانسان من ورودها عليه بغتة من حيث لا يشعر .

الاستعارة فى « الخطابة » بانها نقل اسم شيء الى غيره ، وعرفها ابن المعتز بانها استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها . وجعلها العرب بعد او قبل من صميم البيان ، فدارت حولها من المناقشات والتقسيمات ما جعلها نشاطا عقليا من الممكن تقنينه ، وكان ارسطو قد توسع فيها فجعل منها المبالغات والامثال .

وسواء اكان النص استعارة أم تشبيها ، فالمعول فيهما وجه الشبه . ويرى الناقد حقيقة التجربة من خلالهما ، ومن خلال صور المجاز كافة . بل هو يناقش جزئيات الصورة — ان عدل المؤلف عن اى نوع من انواع المجاز — فى اشكاله الاخرى كان يصطنع اسطورة او يستخدم مثلا او رمزا .

ومع توفر عنصر الجمال الشكلى الى جانب ما تقدمنا يصبح النص وكانه اجيز فنيا ، فالصورة واضحة لا تمثل خللا فى السياق ، والتجربة سليمة الجوانب قوية الدلالة ، والكلمات موحية موقعة . فما على الناقد بعد هذا الا ان يصدر حكمه اذا اراده والا فهو يجيب بـ « نعم » اذا سأل : هل نجح المؤلف فى التعبير بهذا النص ؟ .

غير ان هذا العمل بخطواته تلك لا يتم الا على الصعيد الاكاديمى ، لأن النقاد الذين تستهلكهم الصحافة لا يكلفون انفسهم مشقة هذا الضرب من المحاولات . بل لعل كثيرين يرون ان كل نظريات الجرجانى والآمدى — وحتى ارسطو — عبث لا طائل وراءه او مراوغات يتقنها المدرسيون .

دكتور
أحمد كمال زكى

فاذا جمع الشخص بين الامساك عما لايلزمه ، والبذل فيمـا هو احوج اليه ، فقـد حاز فضيلة الاقتصاد التى قال فيها نبينا صلى الله عليه وسلم : « الاقتصاد نصف المعيشـة » والمعنى ان المعيشة تقوم بأمرين : الكسب والاقتصاد ، فان لم يحز الآخر وهو حسن التدبير فقد فقد نصف معيشته ، أى فقد انهدم احد ركنى المعيشـة ، فان حاز الأمر الاول والثانى وهو الاقتصاد ، فقد تمت له المعيشة » .

ويتحدث الامام محمد عبده فى هذا المقال عن اتساع رقعة التوزيع للثروة ، وانه كلما اتسعت هذه الرقعة كان ذلك دليـلا على تحقق العـدالة الاجتماعية والديمقراطية الاقتصادية وتكافؤ الفرص ، فيقول فيما يقول : « ان اغنى البلاد واسـعدها هى البلاد التى توزعت ثروتها على غالب اهاليهـا ، ويزداد الضرر اذا وقعت الاملاك والمبيعـات فى ايدى الغـربـاء والاجانب الذين لا يسرنا ان نراهم واضعى ايديهم على غالب الاملاك العظيمة والاراضي الواسعة التى كانت فى ايدى البلاد ، بل هـذا امر يحزن كل ذى عقـل وادراك ، ولا يغفل عنه الا غبى دنىء محب للفقر والفاقة ، واننا لنخجل من حكاية هذه الاحوال عن اهالى بلادنا » .

ولنتذكر انه كتب هذا سـنة ١٨٨٠ م ، ولو اراد متحدث باسم الاقتصـاد ان يتحدث اليوم فى هذا الموضوع لما خالف الامام فيما قال .

وفى بحثه عن « فلسفة الصناعة » نراه يقرر ان الصناعة هى قوام النوع الانسانى ، وعليهـا مدار بقائه وبهذه الصناعة يستطيع الانسان ان يسود غيره من الاحياء ، ويسـخر ما أمامه من الموجودات ، ثم يقول الامام عن الانسان : « انه فى جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التى هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية ، لتكون له عوضـا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية التى منحت لغيره من الحيوانات باصل الفطرة .

وليس ذلك بخاف على ذى شعور ، فان صناعة الحياكة مثلا قائمة مقام القوة السلمكة للجلود الغليظة المفرزة للاشـعار والاوبار ، الواقية لما احاطته من صولة البرد والحر بل القائمـة مقام ترس يحـفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره ، وصناعة الحديد والاسـلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخـالب والبراثن والانياب للسباع والضباع وعوادى الطيور وكذلك بقية الصنائع ، وما لم يقم منها مقام ضرورى او حاجى قام مقام كمالى » .

ويؤكد الامام محمد عبده المبدا الذى نؤمن به وهو ان العمل شعار الأحياء ، ولذلك يقرر ان الشخص القادر على العمل ثم لا يعمل عضو اشل يلزم بتره وقطعه ، وان الذين لا يعملون ثم يريدون ان يسطوا على اموال غـيرهم بلا وجه حـق ، هم كالامراض الخبيثة ، والاوبئة المهلكة ، ولذلك يقول :

« من لم يكن ذا عمل حقيقى يفيد المجتمع الانسانى ويعين على انتظام الهيئة الكلية . فهو كالعضـو الاشل ، لافائدة منه على البدن ، الا تكلف حمل ثقله مع عدم التالم من ازالته ، فالاولى ابانته وقطعه :

بل ان كان لا يعمل ، ويسعى الى بقية الافراد فى عدم العمل ، كالاباحية الذين يعتقدون انه لا ملكيـة لاحد فى مال ولا عرض ، حيثما جاعوا اكلوا ، او شـبقوا واقعوا ، ويبثون افكارهم بين افراد النوع ليقتدوا باعمالهم ، ويسيروا مثل سيرهم ، فيتركون الاعمال اتكالا على ما بيد الغير حيث انه مباح لهم ، فان تغلبت افكارهم بطلت الصنائع ، وذهب ما بيد الغـير وما بايديهم ، فيحتـاجون الى الضرورى من الاقوات وغيرها ، ولا يجدون فيهلكون .

فاولئك كالامراض السارية مثل الجذام والزهرى . لا بد من قطع العضـو المئوف (المصاب) ، بهـا والقائه فى النار ، لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن » .

وفى اواخر مارس سنة ١٨٨١ يكتب الامام محمد عبده بحثه : « ما هو الفقر الحقيقى فى البـلاد » ويصور فيه الحالة الاقتصادية المؤسفة التى كانت موجودة فى بلادنا ، والتاخر الذى اصاب الزراعة والصناعة والتجارة حينئذ ، فيقول فيما يقول :

« الزراعة على حالها القديم ، لم يوجد منـا من يضع طريقة لزيادة الحاصـلات او تسـهيل العمل وتخفيف المشقة ، بل حصل فيها النقص بفقدان كثير من الانواع التى كانت تزرع فى الازمان البعيـدة كالكتان والسـمسم وغيرهما ، والاقتصار على بعض اصناف قليلة .

والصناعة قد انحطت درجتها عما كانت عليه من نحو ستين سنة ، واظن هذا لا يحتاج الى البيان . والتجارة لم تتغير حالتها عما كانت عليه يوم صارت

مصر مصرا ، وبيوت التجارة الواسعة من ابنائها قليلة جدا ، ان لم نقل مفقودة بالنسبة لبلاد اخرى » .

ويطالب الامام لاصلاح ذلك بنشر العلم ، وتقوية الروح القومية حتى يشعر الفرد بان الضرر للوطن كالضرر لنفسه تماما ، ومقاومة المتسلطين على الثروة بلا حق مشروع ، والحيلولة دون استيلاء الاجانب على الثروة ، وتوسيع دائرة الصناعات والفنون ، ومطالبة الاغنياء بالاسهام فى خدمة البلاد واداء ما عليهم نحوها .

ويقرر الامام الشيخ فى هذا البحث مبدأ اقتصاديا هاما ، وهو ان الدولة من واجبها ان تيسر وسائل العمل للافراد ، ثم يجب على الافراد بعد هذا ان يقدموا على العمل ، وان يواصلوا الانتاج .

ويجب عليهم ان يطلبوا من الدولة ان تعمل كل شيء ، وان تنهض بكل أمر . يقول الامام :

« ان شان الحكومة ليس الا ان تطلق للناس عنان العمل ، فيعملوا لانفسهم ما يعلمونه خيرا لها ، فان اية حكومة قيل انها عادلة حرة لم يكن لها الا انها اباحت للناس ان يدخلوا فى اى باب من ابواب المنافع ويطلبوا الخير الحقيقى بكل وسيلة صحيحة ، فاذا لم يكن فى الناس — خصوصا الكبراء من يهمه امر مصلحته ، وبقاء شرفه وناموسه ، فسفه منه ان يطلب من الحكومة مالا يطلبه هو لنفسه من نفسه وهذا الواجب الحكومى هو ما نعبر عنه اليوم بتهيئة الفرص المتكافئة التى يجد فيها كل قادر مجالا لكى يعمل وينتج ويكسب ويمتلك باسلوب شريف نظيف .

ويرى الامام ان « الرشوة » هى « الداء المميت لروح العدل ، المفسد لمزاج النظام » وان دفعها للمرتشي « يعد من سفه الراى ، وقلة العقل ، ودناءة الطبع » ، ويعرض علينا الشيخ صورة اليمة من صور الرشوة فيقول عن بعض الناس فى مجتمعه وعلى عهده :

« ومن الناس من تكون حقوقه بينة ، جلية الثبوت خالية عن عناد خصم ، أو تدليس محتال ، ولا يكتفى بذلك فى اقتضائها . فيسارع الى الرشوة يدفعها لمن يرجع اليه تخليص حقه غنيمة باردة ، وقد يتمنى الحاكم العفيف ولا يرضي بقبولها ، وهو من سفهه يتوسل ويتضرع اليه فى قبولها منه ، لظنه انه لانجاح بدونها ، وليس ذلك الا لرسوخ تلك العادة الشنيعة المضرة بالدنيا والدين فى طباع ادنياء الهمم ، تقربا لذوى المناصب ، وتذللا خبيثا لا يجوزه الشرع ولا قانون البلاد ، وتنفر منه نفس كل ذى احساس انسانى .

مع أن حفظ الاموال من الضياع فيما لا ينبغى ، وصرفها فى وجوهها الضرورية كالمطالب الميرية والنفقات اللازمة ، اليق بفعل العقلاء ، وأصون لحرمات القانون ، وابعد فى طريق السلامة من الوقوع تحت اعباء المعاقبة والتهلكة ، واحسن طريقة لردع ارباب الشره والخسة ، اذ لو كف كل ذى حق عن اداء الرشوة ، واعتصم بالطريق الأقوم ، وخضع للاحكام الحقة ، لتحصل على حقه بدون ان يرى من خصمه ادنى محاولة او مراوغة الا بالحق » .

ويعتبر الامام محمد عبده « الاسراف » سوسا خطيرا ينخر فى هيكل الثروة القومية وجرثومة خطيرة تشيع فى كيان الأمة الاقتصادى الضعف والخور ، ويصور لنا كيف يلقى المسرفون بأيديهم الى التهلكة وكيف يدفعهم حبهم للتظاهر الكاذب والتباهى الخادع الى اسوا العواقب ، فيقول عنهم انهم فتحوا على انفسهم بابا آخر من الفقر ، يلجونه باختيارهم وارادتهم ، بدون قاسر ولا قاهر ، وهو باب السرف والتبذير والاكثار من لوازم الرفاهية والزينة ، وما يكسب الظهور الكاذب بلا طائل فرايناهم يتفاخرون فى اعداد الولائم ، واتقان اشكال الزينة ، ويتنافسون فى تشييد الابنية ، ويتكاثرون فى الملابس وانواع الملاذ ، لا يقفون فيها عند حد ، ولا ينتهون الى غاية .

ثم يتحدث عن الكوارث التى يسببها الاسراف عن طريق الاستدانة بالربا الفاحش ، أو عن طريق الرهن المؤدى الى الغبن وهضم الحقوق وضياع الممتلكات الى آخر هذه المهلكات .

سلام الله على الامام الشيخ محمد عبده الذى كان احد الائمة الاعلام البصراء بشئون الدين والدنيا سلام عليه فى الخالدين .

احمد الشرباصي

الزيات مدرسة ورسالة

للأستاذ سمير ندا

تربع المنهاج القديم التقليدى على عرش الأدب حتى مطلع هذا القرن ، فطبعه بطابع التظرف والتأنق وقيده باغلال أصول فنية نخرة كأعجاز نخل خاوية ، وعلى نفس الدرب التطورى الذى سلكته آداب الغرب فى القرنين السابع عشر والثامن عشر درج أدب الشرق ، فكما كانت الرومانتيكية ردا منطقيا على الكلاسيكية هناك ، ظهرت عندنا طائفة تنسل الى حيث الجمال والعاطفة والخيال ، وتنكر على القدامى تجمدهم وتخلفهم ، وتسعى طاهرة الخطرات حثيثة الخطوات تفتح آفاقا جديدة فى تاريخ الأدب العربى ، وكان الاستاذ الزيات واحدا من هذا الرعيل الذى واعد قدر أمته على مشارف نور فجرها فكان بعضا من هذا النور .

وان كان الأستاذ الزيات ينتمى الى طائفة الرومانتيكيين العرب ـ ان جاز أن نسميهم بذلك ـ ، الا انه اكثر اعتدالا واتزانا من غيره ، فقد اتصل بأسباب الأدب العربى القديم فى غير ما تعصب ولا تشدد ، وعكف على مناهل الفكر الغربى دون ما اسراف أو تبذل ، اما الذين استهوتهم بهرجة الفرنس والافرنج فقد اصبحوا كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى .

وقد بدأ الزيات جهاده الأدبى والفكرى قبل أكثر من نصف قرن ، فعمل بمجلة الجديد التى كان يصدرها محمد حسن المرصفى ، ثم انتقل الى زميلتها السفور واتصل جهاده بجهاد مصطفى عبد الرازق ومحمد تيمور ومحمد فريد أبو حديد ، كان ذلك وقت اشتغاله بالتعليم وفى نفس الحقبة توفر على تصنيف ـ تاريخ الادب العربى ـ فكان هذا الكتاب للناشئة والحاذقة على السواء ملاذا يلاذ به وحمى يحتمى فيه وكعبة تشد اليها الرحال **وان المرء ليلمح فى ثنايا هذا السفر الجليل امانة المؤرخ ودقة الباحث واصالة المفكر وابداع الاديب . ثم اقتحم أدب الغرب ليعود بخلاصته وعصارته فترجم عام ١٩٢٠ آلام فرتر لجيته وفى عام ١٩٢٥ ترجم روفائيل للامارتين . واعتبرت ترجمته لهاتين الدرتين خلقا جديدا لهما وبلغ بذلك الزيات ارفع مستويات الاديب الذى يصفه ا. س . مونتجيو بانه « ... هذا المستوى الرائع من التكوين الانفعالى لصور الاشياء فى ذهن الفنان يصعد اليه الكاتب على سلم فنى من التداخل بين الدربة الفنية على ممارسة فنه ـ الدربة على تنسيق الكلم ومعاناة الكتابة ـ وبين الجهد الخيالى فى النفاذ الى اعماقها البعيدة ولبابها الخالص وقلبها النابض »** ثم أصدر الرسالة وحملها على كاهله رحمة مهداة الى الناطقين بالضاد من الخليج الى المحيط . وسافر الى العراق أستاذا للادب بجامعة بغداد ولنا عود الى هذا الموضوع فيما يتقدم من الكلام . وتساوقت بعد ذلك مؤلفاته منها (محاضرات فى أصول الادب) ودفاع عن البلاغة وآخرهما رهنا الطبع وهما « عبقرية الاسلام من الناحية الجمالية » و « ذكرى عهود » الذى يؤرخ حياة الزيات العاطفية .

من هذا الاستعراض الموجز يتضح أن الزيات انطلق يطوف واثقا بشراعه فى محيط الكلم يرتاد ما استعصى على الكثيرين كشفه أو استغلق عليهم ادراكه وفهمه ؛ فهو مفكر أديب وهو الى ذلك لغوى أريب فى أدبه رومانتيكى وفى فكره عربى اسلامى وفى لغويته معتدل منطقى . اما فلسفة الزيات مفكرا وأديبا فتتضح من قوله بصدد قانون تفرغ الأدباء : « ان الكاتب الحر الموهوب لاينتظر أن يكلف أو يعان حتى يكتب » ولا مشاحة فى أن ذلك الاتجاه يحفز الكاتب على الصقل والتهذيب ، والابداع والتجديد . وان كنت لا أذهب مع الاستاذ الزيات فى تعميم هذه النظرة للادب لانها لا تغنى ولا تسمن من جوع الكثرة الكاثرة من كتابنا . فالادب عنده اذن غاية مقصودة لذاتها وهو أصداء رنين الوجدان لا رنين الذهب . وأما منهاجه فى ميدان الفكر والادب فقد ألمعنا اليه فيما تقدم الا أننا نزيد الامر ايضاحا باستعراض رأيه فى بعض مذاهب الادب التى يسعى اليها جانب من الكتاب فيقول : « ... حتى الرمزية وهى بنت الافق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمغم يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح ، وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الالهية » ولكى يؤكد الزيات مذهبه ويدعم فكرته يستعرض موضوعية الادب فى اعجاز وايجاز فيردف : « ليس الامر فى الادب كالامر فى العلم ، **الأدب للنفس والعلم للناس ، الادب مواطن والعلم لا وطن له ، الادب روح وجسد ودم فى العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلا بنفسه ويبرز شخصية**

الشعب فيحيا متميزا بأفراده ، الادب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد • والعلم غير اولئك كله ، فاذا جاز طبعا أن نأخذ من غيرنا ما يكمل نقصنا من العلم فلا يجوز قطعا أن نأخذ من هذا الغير ما يمثل انفسنا من الادب » ••
والاستاذ الزيات لا يقصد بذلك أن نتقوقع ونتعزل، وانما يستهدف الى خلق أدب عربي ذى شخصية متميزة قائمة بذاتها ولن يتسنى لنا ذلك طالما درنا فى فلك الادب الغربى نهتبل منه الصالح والطالح والغث والسمين ، وانما يقصد أن نلتصق بأدبنا العربى القديم فيما غبر ولا يمنع ذلك من الوقوف على أدب الغرب الجديد المبتكر •

اما الزيات اللغوى فكان للكلمة العربية ملاذها وغيائها فوقاها شر التمزق على صخر المتفرنجة والمتفرنسة وحال بين انوار هذه الكلمة من ان تتبدد فى قفر الجهل باللغة ، ومع ذلك فهو لا يغالى فيأخذ بأسباب الفصحى حتى يشق على المرء تبيانها ويستعصى عليه استكناهها ، كما أنه لا يتساهل ويتخفف الى الحد الذى يختلط فيه الحسيس بالثمين فيطويه أو يتمكن الباطل من الحق فيرديه ، وانما اختط لنفسه مذهبا وسطا يقول فيه « ••• ومذهبى فى مجمع اللغة العربية امداد الفصحى بما تزخر به العامية من الفاظ الحضارة وتراكيبها التى دخلت فى الحياة العامة حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين وينتهى بهما الامر الى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى السلامة والجزالة والبلاغة والسمو وفيها من العامية الدقة والطبيعية والحيوية والتجدد والوضوح » •• والاستاذ **الزيات حين يدعم اللغة انما يدعم ركنا اساسيا من أركان القومية العربية ، وانا لنلمس أثر نضاله هذا وقد خلفه حيث عاش بالعراق ردحا من الزمن ، نلمس أثر هذا النضال الفكرى اللغوى فى قول ثائر العراق ـ عبد السلام عارف ـ اذ يعترف فى سعادة وحبور واجلال ••• « لقد تلقينا معانى القومية العربية عن الزيات ورسالته » • اذن فقد لعب الزيات فى ثورة العراق العربى دورا حافلا يشبه من وجوه الادوار التى قام بها روسو فى الثورة الفرنسية وتوم بين فى الثورة الامريكية وجوركى فى الثورة الروسية** ، فليس من المستغرب بعد ذلك أن يحتل أدب الزيات جانبا كبيرا من دراسات المستشرقين حتى يقال فيه « ان أدب الزيات يعتبر ركيزة متينة للادب العربى الحديث » •

بقى أن أشير الى أسلوب الاستاذ الزيات ـ مفكرا وأديبا ولغويا ـ فقد وصف أسلوب الزيات فيما وصف بالرشاقة والاناقة والسهولة والوضوح• وظن البعض أن الرشاقة والاناقة ، ضعف وخور ، وأن السهولة والوضوح تخاذل ووهن • حتى قيل فى شأنه انه زعيم الاسلوبيين فقط •

وليس لى أن أدافع عن الزيات وأنافح ، فليس ثمة سبة تتطلب دفاعا أو منافحة • ولكننا اذا تناولنا الامر فى شىء من الجد والعمق لادركنا ان الجملة التى تقرأ فى سهولة ويسر ، شديدة الصعوبة فى كتابتها لانها كما يقول شريدان « ••• ثم صقلها وتحويلها الى ادب حقيقى ، جملة ذات كلمات مختارة، كلمات نقيت وصفيت ثم نسقت ورصفت واخذت مكانها من النغم العام والموسيقى السائدة ، واصطبغت بلون جميل من الانسجام فاصبح الوصف مجسما فى صورة حسية نشم فيها تنفس الانسان ونسمع جرس الاصوات ، ونحس حركة الحياة •• » وهكذا الزيات عباراته معتادة ، ولكنها منتقاة مصطفاة رتبت ونسقت ، فتلاءمت وتناغمت كقوله مفسرا قوة الاسلام فى الاندلس خلال القرون الاربعة الأولى من دخوله اياها « ••• انه كان ينبثق من مصدر متحد ويشرق فى صحو شامل فلا غيوم كانت تحجب ضوءه ولا عواصف كانت تبدد سناه ••• » او كما يصور موقف الغرب المزرى من اقدام فرنسا على سفك دماء الجزائريين فلا يحرك ساكنا « •• كما يتفرج الأطفال بصراع الدمى على مسرح العرائس •• » وهكذا دواليك ، يستغل الاستاذ الزيات كل الامكانات الفنية للكلمات فينشر أضواءها ويوزع ظلالها وينسق الوانها لتخرج فى النهاية لوحة تأخذ بمجامع القلوب وتأسر مقلات العيون حين يعتصرها الوجدان مستقطرا منها رحيق الجمال •• ذلكم أن طريق الابداع الادبى ـ كما يقول مونتجيو ـ يخضع لعمليتين يبلغان به الكمال الفنى أولاهما : أن تنقى كلماته وتصفى وثانيتهما : أن تلقح هذه الكلمات بلقاح وهاج يجعل الكلمات خارقة القوى ، لقاح من التعبير المثير والجمال الأخاذ •

فان صح أن توصف بساطة الزيات وأناقته ورشاقته فانما يصدق عليها التوهج والتألق • هذا هو الأدب •

واخيرا وليس آخرا ! فان الزيات مفكر اديب ولغوى • يصعب على القلم أن يحيط به كل الاحاطة فيحقه حقه ويقدره قدره وينزله منزلته •

سمير ندا

أغنية للثوار

للأستاذ محمد أحمد العزب

الليل دموع ودماء .. والأفق الغارب انواء
ووراء الكوخ .. وخلف جدار الليل .. انين وبكاء
اطفال جوعى اذرعهم للخصب دعاء ونداء
اعينهم وجه سحاب قاتم .. وغابت فيه الاضواء
وخطاهم عبر اللامأمول خطى عمياء وشلاء
والفجر الواعد حلم غد غشاه مساء ومساء
لكن الفارس جاء .. وخلف الفارس فرسان جاءوا
ركبوا للفجر جواد الليل .. اباة يحدوه اباء
عصروا احداق الظلمة فانطفأت .. وتهادى اللألاء
طلعت شمس ماكانت تطلع .. ذاب جليد وشتاء
وانبجس الدفء .. ورفت في الشطآن مروج خضراء
وتعانق تحت سماء البعث الهادر ناى وغناء
وصباح البعث رؤى حلم غنى لضحاه الشهداء

***

الفارس سار .. وخلف خطاه استبسل شعب بناء
والفارس في بلدى .. امل .. صنعته قرون سوداء
احلام ابى نسجته لنا بطلا جبهته سمراء
تحمله غيمات ربيع اذرعها وعى .. وذكاء
في ليل غرد من يوليو زفته لشعبى الأنباء
تتمطى في أعماق الناس .. رجاء يحدوه رجاء
صنع التاريخ .. جبين ضحى تترقرق فيه الأنداء
فابى ما عاد رقيق الأرض يهد صباه الاعياء
واخى .. ما عاد اخى «شيئا» تذروه الريح العمياء
وحقول القمح لكل الناس .. لكل الناس الاعطاء
وبلادى جبهة اعصار ان دمدم في الأفق عواء
لا تحنى هامتها ابدا .. لا تبخل ان لاح فداء

***

يازحف بلادى .. يا حبى .. خطواتك خصب وثراء
برعم في كل حقول الارض شذاك تغنى الاجواء
أنا عندى لضحاك المأمول اغان نشوى خضراء
اغنية للفجر الموعود بلون جبينك .. بيضاء
فاستبسل في زحفك .. أقدم .. فدروبك شوق وحداء
وحناجر ملء فضاء الكون تدوى فيها الأصداء
«مجدا للخصب» «لترتفع الرايات» «سلام واخاء»

محمد احمد العزب

جراح قلب

للأستاذ محمد بدر الدين

انا يا اخي في الغار لن انسى هناك
فاخي الشهيد على الثرى ... ملقى هناك
والثأر يوما سوف يجمعنا هناك
انا من هنا ... لكن جرحي من هناك

***

قد غاب عمري في الظلام . وفي العذاب
حتى نسيت الدمع من هول المصاب
ونسيت افراحي ... واحلام الشباب
حتى ضياء الوهم غشى بالضباب
وارى امامي هول اشباح الخراب
اطلال شعب تائه بين الشعاب
وسطور عار اسود .. ملء الكتاب

***

عار سنغسله بأنفسنا هناك
فالثأر يوما سوف يجمعنا هناك

***

ستثير احقادي مرارة ذلتي ..
وتعيد في افقي خيال النكبة ..
هي نكبتي ... فالقدس كانت قبلتي
ان لم اكن منها ففيها امتي
وبلادكم وطني وانتم اخوتي
يوما ساكتب في ثراكم .. قصتي
بدمي .. وانسف قيدكم بعزيمتي
فاذا سقطت اخي فوسدني هناك
انا من هنا .. لكن جرحي من هناك

***

لاتبكني وازار كليل عاصف
وانهض اليهم كالبلاء الزاحف
واقذف رصاصات الفناء الخاطف
من مدفع عات .. حقود .. قاصف
واحصد به حشد العدو الواجف
والخائنين ذوي الاخاء الزائف

***

فاذا تحققت المنى ... فاذكر اخاك
ذاك الذي اهدى الحياة الى ثراك
وسعى ليشهد بعث امته هناك

محمد بدر الدين

قادة فتح العراق والجزيرة

للأستاذ قاسم الخطاط

هذا هو عنوان المجلد الاول من سلسلة « قادة الفتح الاسلامى » الذى تعمل فى طبعه الآن « دار القلم » بالقاهرة ، وتتألف هذه السلسلة من سبعة مجلدات تتحدث عن :

قادة فتح ارض الشام ومصر
وقادة فتح المشرق
وقادة فتح المغرب العربى والاندلس
وقادة فتح اوربا
وقادة فتح البحار

ويجيء المجلد السابع ليتحدث عن الفتح الاسلامى .

مؤلف هذه السلسلة ، هو اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب ، عضو المجمع العلمى العراقى، ووزير البلديات الآن فى العراق .

ولابد لمن يتحدث عن اثر من الآثار الادبية او الفنية ، ان يبدا بالحديث عن صاحب الاثر وصانعه. لهذا سابدا بمقدمة موجزة عن الرجل الذى وضع هذه السلسلة القيمة ، تضع امام اعين الجيل الصاعد من شبابنا ، صفحات مشرقة لرجال خرجوا حفاة أميين من جزيرة العرب ، ليحطموا امبراطوريتين عريقتين هما امبراطورية الفرس وامبراطورية الرومان .

المؤلف ولد بمدينة الموصل عام ١٩١٩ والتحق بالكلية العسكرية بعد اكماله الثانوية وتخرج فيها، ثم تخرج فى كلية الاركان عام ١٩٤٧ ، وقد عرف بالتقى والصلاح وكانت هوايته المفضلة بعد انتهائه من اداء واجباته العسكرية الشاقة ، هى القراءة والبحث والتأليف وقد اصدر كتابه القيم « الرسول القائد » ، فنفذت طبعته الاولى والثانية ، وتقوم دار القلم بالقاهرة الآن بالعمل على اصدار طبعته الثالثة ، كما ترجم عن الانجليزية كتاب « فون رونشتد » ومن مؤلفاته العسكرية : « القضايا الادارية فى الميدان » و « التدريب الفردى ليلا » وهما من الكتب التى تدرس فى كلية الاركان العراقية .

وكان برتبة عقيد ركن ، عندما طغى المد الشيوعى الاحمر فى العراق ، وحين ثار الشهيد الشواف فى الموصل على الانحراف والشعوبية والمد الشيوعى ، كان هذا الرجل من بين من القى القبض عليهم ، واعتقل فى معتقل الدبابات الرهيب ، ولاقى من زبانية قاسم الشيوعيين عذابا وحشيا ادى الى اصابته باثنين واربعين كسرا فى عظامه ، ولم يكن احد يتصور ان هذا الرجل سيعيش ، ولكن الله حفظه .

وامر عبد الكريم قاسم باطلاق سراحه ، ثم دعاه وعرض عليه ان يتولى منصب وزير التربية والتعليم، ولكنه اعلن بصراحته المعهودة انه يشترط لقبول هذا المنصب ان تطلق يده فى العمل على تنظيف تلك الوزارة من العناصر الشيوعية والشعوبية ، وعلى ان تكون له حرية العمل فى رسم سياسة التعليم بحيث تتجه اتجاها عربيا . وكان يعلم ان عبد الكريم قاسم سيرفض هذا الشرط ، ورفضه فعلا ، ولم تنفع المداورة ووسائل الاقناع مع هذا الرجل الصريح المؤمن بعروبته وباسلامه .

وهكذا رفض منصب الوزارة غير آسف ، واعتكف فى بيته يؤلف سلسلة قادة الفتح الاسلامى .

وفى الوقت الذى كان فيه بعض الاغبياء يظنون ان محمود شيت خطاب قد ضاع الى الابد ، وان عبد الكريم قاسم قد فاز بالمجد والسلطة . فى ذلك الوقت نفسه كان عبد الكريم قاسم يسير الى نهايته المخزية ، بينما كان محمود شيت خطاب يقوده ايمانه الى الخلود .

كان راتبه التقاعدى (معاشه) مائة وعشرين دينارا ، ولكن هذا الرجل المؤمن الانسان ، كان يوزع ثمانين دينارا على عائلات اخوانه من الضباط المعتقلين ، ويكتفى باربعين دينارا يعيش بها عيشة الكفاف هو واسرته .

وفى اليوم الذى خرج فيه من المعتقل الى مكتب عبد الكريم قاسم ، ثم غادر مكتب الطاغية بعد ان رفض منصب الوزارة ، عاد الى بيته ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، حيث كان فطوره مع اسرته قاصرا على الحمص المسلوق ، والخبز المنقوع بماء الحمص المسلوق .

ولم يكتف بتوزيع ثلثى راتبه التقاعدى على عائلات المعتقلين من اخوانه الضباط ، بل كان يدور على معارفه ومن يثق بهم ليجمع منهم التبرعات حتى يوصل الى عائلة كل واحد من الضباط المعتقلين

مايكفيهم لنفقات معيشــتهم ، في الوقت الذي كان يعجز فيه عن دفع اتعاب الطبيب اذا ما مرض احد افراد اسرته ، فيتركه يصارع المرض معتمدا على الله ، لانه لا يملك ما يعطيه للطبيب وما يشــترى به الدواء .

وكان يعمل خلال ذلك على الاتصال بالمخلصين لاعداد الخطة للقضاء على الحكم الفردي الشعوبي الذى خيم على العراق .

وفي صبيحة يوم ١٤ رمضان ، كان واحدا من عشرين ضابطا تولوا قيادة القطاعات التي هاجمت وزارة الدفاع ، وقضــت على حكــم عبد الكريم قاسم .

وعندما جيء بعبد الكريم قاسم الى دار الاذاعة ذليلا اسيرا ، هاجمته مجموعة من الجنود لضربه واهانته ، وكان محمود شيت خطاب واحدا من القلة الذين امتدت ايديهم لحمايته من الضرب والاهانة ، وأمر الجنود ان يبتعدوا ، فاطاعوه . ان مالقيه من ضرب وتعذيب بأمر عبد الكريم قاسم ، كان يجب ان يدفعه الى التشفي بترك الجنود يضربون من أمر بضربه ، ويهينون من أمر باهانته ، ولكنه كان يحمل نفس القائد الذى لا تدفعه الهزيمة الى اليأس ، ولا يدفعه الانتصــار الى الغرور . وكان يحمل نفس الانسان التي تابى انتقاتل الاعزل وتنتقم من الضعيف المخذول .

اظنني نجحت في القاء بعض الاضواء على جوانب من شخصية صديقي الحاج محمود شيت خطاب ، مؤلف سلسلة « قادة الفتح الاســلامي » ، الرجل الصادق الامين ، الذى لا يغره منصب ، ولا تفتنه عن عروبته ودينه سلطة زائلة ، ولا تغريه بهرجة كاذبة . واســأل الله الا يكون لمحبتي له اثر فيما كتبته عنه قاصدا الحق والصدق .

واعود الآن الى الجزء الأول من هذه السلسلة « قادة فتح العراق والجزيرة » .

قال احد اعضاء المجمع العلمي العراقي عن هذا الكتاب :

« والمؤلف قد حرر فصول كتابه تحرير فاحص متثبت يزن الاقوال ويعارضها ثم يدونها مطمئنا الى النتائج التي توصل اليها مع ميزة ظاهرة فيها هي فقهه الحربي الذى تخلل نظراته التاريخية ، ثم ميزة اخرى هي ايمانه المطلق باقدار هؤلاء العظماء الذين يدون سيرهم الخالدة ، وامتزاج روحه بارواحهم العالية التي بعثتهم على البذل والتضحية وتحمل المشاق واقتحام الصعاب في سبيل نشر رســالة الاسلام الانسانية ، وهاتان الميزتان : ميزة الفقه الحربي وميزة الايمان ، مضافتين الى البحث التاريخي، قلما تتوافران في شــخص يبحث في التــاريخ الاسلامي .

وهذا الكتاب يرمي في جملته وتفاصــيله ، الى احياء عظائم البطــولات العــربية ، ومزايا حملة الرسالة الخالدة من بناة الاسلام والقومية العربية الاصيلة ، والى ايقاظ الشعور القومي الحي النظيف المؤمن البناء » .

مصادر الكتاب

وقد رجع المؤلف وهو يعمل في كتابه هذا الى سبعة وستين مصدرا من مصادر الكتاب والســنة والسيرة والفقه والانساب والجغرافية . والى تسعة واربعين كتابا عربيا بين قديم وحديث ، والى ستة من المصادر باللغة الانجليزية .

اقسام الكتاب

ويتألف هذا الكتاب : « قــادة فتح العــراق والجزيرة » من ثمانية اقسام :

القسم الأول : تحدث فيه عن القادة العــامين ، حيث درس شخصياتهم والمعارك التي خاضوها ، وهؤلاء القادة هم : المثنى بن حارثة الشيباني وخالد ابن الوليد وابو عبيد مسعود الثقفي وسعد بن ابي وقاص .

القسم الثاني : قادة فتح محور العراق الاوسط وهم : خالد بن عرفطه العذرى وزهرة بن الحوية التميمي .

القسم الثالث : قادة فتح محور ديالى من المدائن الى حلوان ، وهم : هاشم بن عتبه بن ابي وقاص والقعقاع بن عمرو التميمي وجــرير بن عبد الله البجلي .

القسم الرابع : قادة فتح محور دجلة من المدائن حتى الموصل ، وهم : عبد الله بن المعتم العبسي وربعي بن الافكل العنزى وعــرفجة بن هرثمة البارقي .

القسم الخامس : قــادة فتح محور الفرات من الرمادى حتى ملتقى الخابور بالفرات وهم : عمر بن مالك الزهرى والحارث بن يزيد العامرى .

القسم السادس : قادة فتح جنوب العراق وهم : عتبه بن غزوان والمغيرة بن شعبة الثقفي .

القسم السابع : قائد فتح المنطقة الجبلية من شمالي العراق وهو : عتبة بن فرقد السلمي .

النثر الفني عند ابن زيدون

للأستاذ مصطفى الرئيس

يحس المتتبع لتاريخ الادب العربي في الاندلس ظهور الحركة الادبية الكبرى منذ القرن الرابع الهجري حتى تبلغ اقصى نشاطها في عصر ملوك الطوائف ، اذ يحيط كل ملك بلاطه بالادباء والشعراء لينافس بهم من حوله من الملوك والامراء .

وفي هذا العصر ـ عصر ملوك الطوائف وبداية الفتنة ـ يستمر نقل نماذج الفكر العربي بانماطه وصوره المختلفة من المشرق الى بلاد الاندلس ذلك أن اهل هذه البلاد كانوا يرون في تقليدهم للنماذج المشرقية واتقانهم اياها بمعارضتها ومحاولة التفوق عليها اثباتا انهم مبقون على عروبتهم ولغتهم على الرغم من اختلاطهم بالحضارة الغربية وامتزاج دمائهم بدماء غير عربية . وهكذا نرى أنه ما لبث أن ظهر مذهب ابن العميد في الكتابة بالمشرق العربي حتى سارع الى نقله الى الاندلس كتابها وجعلوا يسيرون على نهجه فهذا ابن شهيد مثلا ـ وهو من أبناء هذا العصر ـ وقد تأثر بالمقامة الابليسية لبديع الزمان تأثرا كبيرا يؤلف رسالته المعروفة (التوابع والزوابع) في نفس الموضوع اذ كلاهما وصف لرحلة في عالم الجن ، ثم ابن زيدون الذى تأثر باتجاه ابن العميد في النثر الفني كغيره من النائرين من أبناء عصره فكتب رسالتيه « الهزلية والجدية » .

ويقول ابن بسام صاحب الذخيرة في هذا المعنى « أبوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما» .

وعلى هذا النحو عمل أهل الاندلس على نقل كل كتاب ادبي او رسالة نثرية او ديوان الى بلادهم فور ظهوره بالمشرق العربي ومحاكاته مع محاولة التفوق عليه .

واليوم نتعرض لأحد شعراء عصر الفتنة وظهور ممالك الطوائف كتب له الذيوع والشهرة كشاعر قد ملك جوانب هذا الفن وأبدع فيه فبلغ مبلغ القمة واعتلى منزلة التفوق بازاء معاصريه من شعراء وأدباء، ولكننا لا نعرض لهذه القيمة الفنية التي طار اسمه بها بل نقف عند جانب النثر الفني في حياته لنلقي بعض الضوء على هذا الاتجاه الادبي وما أنتج فيه من آثار حفظها التاريخ لنا تجلو صورا من حياته لا تقل عن تلك التي يفيض بها شعره .

فواقع الامر أن الصفة الغالبة التي اقترن بها اسم ابن زيدون شاعر الاندلس الكبير في الادب العربي هي شاعريته الفذة التي رفعته الى مصاف فحول الشعراء الخالدين . وليس من شك أن شعر ابن زيدون قد توفر على دراسته كثير من الباحثين العرب والمستشرقين ولكن الصفة الادبية الثانية التي كانت لهذا الشاعر وهي نثره الفني لم تنل نصيبها الأكمل من الدرس والمعالجة لتغلب الشعر في حياة ابن زيدون بصفة عامة .

ومن المقرر أن ابن زيدون كان ذا ثقافة أدبية واسعة ، شب على القراءة والدرس وحفظ الكثير من مسائل العرب كما كانت له ذاكرة متقدة فامتلأت نفسه بما قرأ من معاني وأفكار منذ حداثة عمره .

القسم الثاني قادة فتح الجزيرة وهم عياض بن غنم الفهري وسهيل بن عدى الخزرجي وعبد الله بن عبدالله بن عتبان الانصاري والوليد بن عقبة بن ابي معيط الاموي وعمير بن سعد الانصاري الاوسي .

وتلي هذه الفصول خاتمة الكتاب ، وفيها يتحدث المؤلف عن تعاليم الفتح الاسلامي ، حيث يعطينا من خلال تلك التعاليم ، صورة مشرقة للطابع الانساني العميق الذى كانت تحمله تلك التعاليم والمثل العليا التى لم ترتفع اليها ارقى الحضارات الانسانية التي عرفها تاريخ العالم منذ بدء تدوينه .

«والرسالة » التى تبنت الدعوة الى القومية العربية والى الوحدة العربية الكبرى ، وحملت راية الاسلام منذ عام ١٩٣٣ ، وتغنت اقلامها بامجاد العروبة يوم كانت الاقلام تلوذ خوفا لتحتمي وراء اردية السلطان ممجدة متملقة ، لابد ان تقدم على صفحاتها صورا من البطولات التى ابدعها قلم المؤلف وضمنها صفحات كتابه هذا ، ليجد فيها هذا الجيل من الشباب الصاعد ، القدوة الرائعة ، والاعتزاز بما ترك لنا الاجداد من تراث عظيم .

قاسم الخطاط

وحين ظهر اتجاه ابن العميد في الكتابة بالمشرق العربي تأثر به ابن زيدون وسار على نهجه من حيث اتباع الصناعة اللفظية والشعر المنثور ولكنه خالف هذا الاتجاه بعض الشيء حيث لم يعبأ بالسجع كثيرا أو لم يكن يقصده هـــدفا بل كان يقع في كتاباته موقع متطلب التعبير لانه لم تتملكه ـ كأبناء هـــذا الاتجاه ـ الرغبة في التأنق اللفظي بل كان مدفوعا الى الكتابة بتأثير الاحداث في حياته ·

وآثار ابن زيدون في النثر الفني تتـــجلى في رسالتين أدبيتين أسمى احداهما (الهزلية) والاخرى (الجدية) وقد دفعته احداث انفعالية ملكت احساسه الى كتابة كل منهمـــا ، والدافع لكتابته الرســـالة الاولى ـ الهزلية ـ انه بعـــد أن وقع في حب ولادة بنت المستكفي اذكى فوزه بهـــا حسد منافسين من طلابها فسعوا لافساد هذه الرابطة وكان على رأسهم الوزير ابن عبـــدوس فتقرب الى ولادة حتى ظفر برضاها وهنا تولد الدافع النفسي الذي أهاج مشاعر ابن زيدون وجعله يكتب رسالته الهزلية التي صيرها على لسان ولادة موجهة الى ابن عبدوس هذا حيث أشبعه فيها تقريعا وسخرية لكن ابن زيدون الى جانب هذا الموضوع الرئيسي لرسالته قد ضمنها كثيرا من الملح في الادب والتـــاريخ مع مقتبسات في الحكم والامثال والاشعار فجاءت رسالة طريفة جمعت بين أفانين التهكم وضروب المعرفة وساق فيها طائفة من الابيات المنثورة مع ذكره لكثير من الاحداث والاعلام وأسماء الرجال التي وردت بالتاريخ · أما دافعه الى كتابة رسالته الثانية « الجدية » فلما نبه شأنه بين شعراء قرطبة وكتابهـــا اتصل بأبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف فحظى عنده حتى صار لســـان دولته ، فنقم عليه حاسدوه ووشوا به عند مليكه فاعتقله وأودعه السجن فظل في محبسه مدة جعل ابن زيدون خلالها يستشفعه بكثير من بديع قصائده ثم برسالته هذه التي أســـماها (الجدية) حيث استنفد فيها جهده في الاستعطاف والتقرب واظهار الندم دون جدوى فلم يلن له قلب ابن جهور فما كان منه الا أن أعمل الحيلة في الهرب خلاصا من سجنه واذلاله ·

ورسالتا ابن زيدون تكشفان عن جوانب شخصيته في جلاء ، فمن المقرر انه كان طموحا في كل مراحل حياته يسعى الى المجد والمنزلة الرفيعة لدى بلاط الأمراء أينما كانوا فنراه اذا ما ضيق عليه حاسدوه وأفسدوا ما بينه وبين أميره لم ييأس ويركن الى الذلة بل يسعى الى أمير غيره حتى يأخذ لديه مكانة مقربة ترضي ما بنفسه من طموح وحب للرفعة · ومثال ذلك حين نزلت به غضبة ابن جهـــور فانه أوسع الحيلة في الهرب من سجنه فارا الى بني عباد حيث المعتضد ثم ابنه المعتمد فعـــاش في رحابهما ناعما بمنزلة كبيرة في بلاط كل منهما لا تقل عما كان له في بلاط ابن جهور · وعلى ذلك فنفسية ابن زيدون تنطوي على شخصية فذة لا تعرف الاستكانة والرضى بالقليـــل يفيض اعتزازا بنفسه لا يلبث بين الحين والحين أن يفخر فخر الابطال زاهيا بنفسه وبأجداده ويقول الدكتور احمد ضيف في كتابه « بلاغة العرب في الاندلس » في هذا الصدد ··· أثر ذلك الشقاء الذي لقيه في سجنه وصورة من صور البؤس الذي حرك شعوره وفتق لســـانه وأثار في نفسه عواطفه الشعرية المظلمة المملوءة هما وغما ولكن اسلوبه في الشكوى والاستعطاف واحد في نظمه ونثره وما أشبه قصائده في ذلك وما فيها من المعاني برسالته الجدية وكأنما كان فكره ســـجينا مثله من شدة تألمه في السجن فانه لم يخرج عن عادته في ضرب الامثـــال والفخر بنفسه وانه أفضل انسان وأكرم من دب على وجه الارض ·· » وهكذا كانت نفسية ابن زيدون المعتد بذاته المترفع عن الذلة أوضـــح ما تكون في رســـالته الهزلية حيث يرتفع بنفســـه على منافسة الوزير ابن عبدوس ولا يرى فيه أنه أحق منه بحب ولادة فهو أكفأ منه وأعظم ثم يحقر من شأن هـــذا الوزير الى الحد الذي يصفه فيه بأبشـــع الصفات وأرذلهـــا في الوقت الذي كان لابن عبدوس هذه المكانة الكبيرة التي تجعـــل من يسبه عرضة لفقـــد حيـــاته ، ونراه من عبـــارة لأخرى لا يفتأ يذكرنا بعلمه وسعة اطلاعه فيحكي لنا ضربا من حكمة العرب وأمثالهم وقصص بطولتهم ورجالهم ثم علمه بعلوم الدين والفلسفة والمنطق وغـــيرها فمن أمثلة تهكمه وتقريعه لابن عبدوس قوله : « هجين القذال ، أرعن الســـبال ، طويل العنق والعلاوة ، مفرط الحماقة والغباوة ، سيء الجابة والسمع ، بغيض الهيئة ، سخيف الذهاب والجيئة ، ظاهر الوسواس ، منتن الانفاس » · ومما يصـــور ولعه باستعراض علمه وسعة أخباره قوله في الرســـالة الهزلية أيضـــا : « ما أحسبك الا قد تهيأت للتهنية وترشحت للترفيه ، ولولا أن جرح العجمـــاء جبـــار للقيت من الكواعب مالاقى يسار فما هم الا ببعض ما به هممت ولاتعرض الا لأيسر ما له تعرضت أين ادعاؤك رواية الاشعـــار وتعاطيك حفظ السير والاخبـــار أما ثاب اليك قول الشاعر :

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع
وتعقد في اكفائها الحبطات

والبيت للفرزدق في هجاء حي الحبطات .

وبطبيعة الحال لا يتسع مجال هذا المقال لذكر الكثير من الشواهد التي تكشف عن هذا الجانب من شخصية ابن زيدون الحقيقية في اعتزازه بنفسه وطموحه وترفعه . اما النقيض الذي يلوح لنا من أول وهلة ، كما تصوره الرسالة الجدية وهو التذلل والاستعطاف والندم الى حد اراقة ماء الوجه فاظن ان ابن زيدون انما اكرهته ظروف حبسه أن يتزلف الى مليكه ابن جهور ويستعطفه على هذا النحو ولكننا نراه من آن لآخر يسترد شخصيته الاصيلة فتصور عنه بعض عبارات الفخر والاعتداد بالذات فيقول مثلا : « واني لأتجلد وارى الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعضع ، فأقول : هل أنا الا يد أدماها سوارها ، وجبين عضه اكليله ، ومشرفي ألصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه » .. فلا ريب ان شخصية ابن زيدون الحقة تتضح لنا بين هذه السطور فبالرغم من استعطافه وتقربه الى أميره ليعفو عنه فانه لا يلبث أن يضفي على نفسه ـ طبقا لاحساساته الداخلية ـ تشبيهات الجبين الذي أضر به تاجه أو السيف الاصيل الذي احط صانعه من قدره ..

ومن أمثلة اعتزازه بنفسه حتى في محبسه قوله بالرسالة الجدية : « وذكرت أني علق لا يباع ممن زاد ، وطائر لا يصيده من أراد ، وغرض لا يصيبه الا من أجاد .. » .

كذلك تصور الرسالتان خصائص أسلوب ابن زيدون في النثر ومذهبه الادبي في الكتابة كما كشفتا لنا عن نفسيته وشخصيته ، فيتضح جليا في أسلوبه خصائص أهل عصره الذين تأثروا بطريقة ابن العميد والصاحب بن عباد والخوارزمي وغيرهم ، التي وردت الى الاندلس بعد شيوعها بالمشرق العربي وهي الصناعة اللفظية والتأنق في العبارة والزخرف والجرس وكل ما يبين عن براعة الكاتب وتمكنه من استخدام اللغة في المترادفات الكثيرة والفقرات المسجوعة التي قد تخرج بالمعنى الى الثرثرة والاستطراد بما لا يخدم موضوع القول أو فكرة العبارة . لكن ابن زيدون لم ينتهج المحاكاة التامة لهذه المدرسة اللفظية في كتابته لرسالتيه الهزلية والجدية فنراهما مفعمتين بذكر الاعلام والاحداث التاريخية وحكم العرب وامثالهم مع كثير من الشعر المنثور الذي يأتي فيه باشطار أبيات لشعراء لايذكر اسماءهم ذلك كله مع تضمينات من الحديث النبوي الشريف واقتباسات من القرآن الكريم ليخدم بما يجيء به من استشهاد فكرة العبارة التي يقصدها توكيدا واثباتا .

ولعل هذه الفقرة من رسالته الهزلية تبين اسلوبه في الكتابة :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة
كنت البديع الفرد من ابياتها

(لأبي الطيب) فكرمت في غير مكرم ، واستسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم ولم تجد لرمح مهزا ، ولا لشفرة محزا ، بل رضيت من الغنيمة بالاياب ، وتمنيت الرجوع بخفي حنين ، لاني قلت : « لقد هان من بالت عليه الثعالب » . ومن امثلة اقتباساته من القرآن الكريم قوله بالرسالة الهزلية ايضا : « ... حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وقيصر رعى ماشيتك » .

وجملة القول أن أسلوب ابن زيدون في نثره جزل من ناحية البناء اللغوي واستخدام الوفرة من مترادف الالفاظ وان كان لا يقفز بصاحبه الى المستوى الذي مكنه له الشعر بل خلده بين أساطين الادب العربي .

وقد قال ابن نباته في حكمه على نثر ابن زيدون : « اما نثره ، فانه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وحل أشعار المتقدمين والمتأخرين » ، الى ان قال : « ان رسائله أشبه بالمنظوم منها بالمنثور وعلى ذلك فقد دل على اطلاع معجب ، واستحضار معجز » .

أما الدكتور أحمد ضيف في كتابه (بلاغة العرب في الاندلس) فيرى في نثر ابن زيدون انه قد عرف كيف يأتي في كتاباته بالتناسق في المعاني والالفاظ وكيف يتصيد كلام غيره ويرصفه رصفا جميلا كما امكنه أن يرسم لنفسه منهجا جمع فيه كل معلوماته واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه فكانت رسائله أنيقة جميلة ، فكان كالمهندس الماهر الذي يعرف كيف يجمع الحجر والحجر ، والمصور الفنان الذي يؤلف بين اللون واللون » .

بقي أن نقول اننا اذ كنا لا نشعر عند قراءة رسالتي ابن زيدون بمايحرك مشاعرنا ويملأ أخيلتنا بالصور الرائعة التي تشيع في شعره لا نستطيع آخر الأمر الا أن نعجب بهذا النثر لما يبدو فيه من جزالة وعلم واطلاع ويبقى ابن زيدون في النهاية شاعرا أكثر منه ناثرا .

مصطفى الريس

في عالم الفن

مسرحية الخال فانيا

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

وايضـــا ماذا اســـتفدناه من عرض مسرحية تشيكوف (الخال فانيـــا) على مسرحنا ؟ ! ان لسلى بلاتون المخرج الروسى الذى اخرجها للمسرح القومى عندنا وصف مسرحيات تشيكوف بأنها تعبير رائع « للدراما الحقيقية » ، وهذا وصف فى غاية الأهمية بالنسبة لنا ، لان كثيرين من المشتغلين بالمسرح عندنا كانوا يشيعون ان تشـيكوف خرج على قواعد المسرح ... والواقع أنه لم يخرج على هذه القواعد ، وليس فى الدنيا ولا فى تاريخ الفن المسرحى كله كاتب كبير خرج على القواعد الجوهرية للفن الذى يكتب فى نطاقه ، وانما اشـــاعوا ذلك لمجرد تبرير خروجهم الخاطىء على القواعد بسبب الجهل بها طبعا

هذه النقطة وحدها من اهم المكاسب التى كان جديرا بنا ان نكسبها من عرض هذه المسرحية لو اننا ناقشناها .. ولكننا لم نناقشها .. الحقيقة التى تدعو للأســـف أننا ناقشـــناها على طريقة (يا سلام على الرواية .. يا سلام على تشيكوف .. يا سلام على المخرج الذى يعتبر تلميذا مخلصـــا للمخرج ستانسلافسكى) .. وهكذا

ان المسرحية بمجرد عرضها انهالت عليها كلمات « التقريظ » بينما كان الأكثر افادة لنا أن نحاول تقريبهـــا للأذهان ... هؤلاء الذين قرظوها هل يعـــرفون أن تشيكوف ليس فى حاجة الى تقريظ بل فى حاجة الى فهم ؟ ! وما الدليل على أنهم فهموا رواية « الخال فانيـــا » ؟ ! ان دليـــلى على مدى « فهمهم » هو أنهم عندما قرظوا المخرج قالوا انه اتبع اسلوب ستانسلافسكى مع أنهم لم يشاهدوا أى عمل من أعمال ستانسلافسكى ، فكيف قرظوه ؟! مجـرد تقريظ عميانى !!

كان الأجدر بنا أن نحاول تناول الرواية تنـاولا فنيا .. لو فعلنا ذلك لأدركنا أن المسرحية ارتفعت الى المستوى العالمى لأسباب كثيرة جدا ، ومن أهمها انها احتفظت بالمواضـــعات الفنية ، وبالقواعـــد الجوهرية للفن المسرحى

انظر اليهـــا من أى زاوية .. ناقشتها من أى ناحية .. ستجد انها اولا « مسرحية » .. حلل فكرتها وكيف عالجها تشيكوف .. حلل شخصياتها وكيف درسها ، ستجد انه قدم اولا عملا مسرحيا .. خذ مثلا شخصية « استروف » ... ان هـــذا الطبيب الذى كان يتولى معالجة « سربرياكوف » العجوز وقع فى غرام زوجته الشابة « يلينـــا » ، ووقعت فى غرامه الفتاة الصغيرة « سونيا » التى كان خالها « فانيا » يشعر نحوه بمرارة ، لأنه هو ايضـــا ـ فانيـــا ـ كان يعشق فى قرارة نفســه « يلينا » ، بينما هى لا تكترث بعواطفه نحوها ... ان « استروف » رغم انه جاء الى الضيعة كطبيب فان تشيكوف ببراعته المسرحية استطاع ان يربطه بجميع الشخصيات بعلاقات وثيقة جدا دون ان يفتعل اى علاقة ، بل بالعكس كانت العلاقات كلها فى غاية الاحكام ... ثم ان شخصية « استروف » ظلت فى المجال الدرامى تنمو وتتطور بحيث لم تشعر فى أى وقت أنها خـرجت من هـــذا المجال ، أو تعارضت مع منطق الأحداث ، بل بالعكس كانت الأحداث تتدافع تدافعا فى غاية الاقناع .. وكذلك شخصية « فانيا » .. انعواطفه الجامحة والمكتومة فى نفس الوقت تحركه فى خلاء ، فهو يتحرك ولا يفعل شيئا ولا يصل الى نتيجة .. انه فى البداية عمل فى الضيعة كثيرا ثم وجد انه لا شىء ، وهو منذ البداية كانت لديه فرصة الزواج من «يلينا» ثم ضاعت منه الفرصـــة ، ولم يشعر بضياعها الا بعد ان تزوجها العجوز المريض « سربرياكوف » ، وهو يحـاول أن يقترب منها عاطفيا ثم يجـــد أنها لا تبادله اية عاطفة ، بينما كانت تبادل الطبيب عاطفة الحب بحـــرارة ، بل انه فوجىء بهما وهما يتعانقان فى قبلة ملتهبة ... ان هذه الشـــخصية الضائعة استطاع تشيكوف ببراعته المسرحية ان

يجعل من شبابها محور ارتكاز فى غاية القوة ، ورغم الخلاء العاطفى الذى كانت تتحرك فيه فانها ظلت تنمو وتتطور داخل المجال الدرامى حتى وصلت الى ذروة الاحتدام وانفجرت فى نهاية الفصل الثالث .

خذ أمثلة أخرى من الشخصيات التى تبدو فى ظاهرها ان الأحداث هى التى تصنعها كشخصيات مسرحية ... خذ مثلا « سربرياكوف » ... انه يسير فى الرواية وكأنه يتفرج عليها ... ان « استروف » هو طبيبه الذى جاء ليعالجه ، ومع ذلك فهو يضيق به وبعلاجه ... و « يلينا » هى زوجته ، ومع ذلك يشعر بالفوارق الضخمة بينه وبينها شعورا قويا ، ثم لا يفعل شيئا لمواجهة هذه المشكلة ... انه ليس فقط لا يقوم بدور ايجابى، بل أكثر من ذلك ان الأحداث التى تمسه مساسا شديدا تدور حوله وهو لا يدرى بها ... فهو لا يدرى ان « استروف » و « فانيا » يتصارعان حول زوجته « يلينا » .. ولا يدرى ان زوجته هى محور هذا التصارع ... شخصية عجيبة فى ذاتها وفى تصور تشيكوف لها .. فربما يبدو انها شخصية الزوج المغفل أو الزوج المستسلم لمصائره بحكم ظروفه وشيخوخته ، ولكن تشيكوف ببراعته المسرحية صنع من هذه الشخصية نموذجا متماسكا فى هذه الغفلة وهذا الاستسلام ، ورغم ذلك يحتفظ لنفسه بكبريائه لانه يتوهم انه فى مستوى ارفع من مستوى الآخرين علما وفهما ، لدرجة أنه يتهم الجميع بكراهيته .

شخصية أخرى مثل « سونيا » ... ان هذه الفتاة الصغيرة يبدو انها غير ذات اهمية ايجابية فى الأحداث .. انها فقط تشعر بالحب نحو « استروف » الطبيب ، وتلجأ الى « يلينا » لتعرف رأى الطبيب فيها ... ربما يبدو من ذلك ان تشيكوف وضعها كمجرد حيلة مسرحية تكشف غرام الطبيب بالزوجة الحسناء « يلينا » ، وهذا منطقى ، لأن « يلينا » وجدت فى التجاء « سونيا » اليها فرصة للاقتراب نحو استروف ، وكذلك انتهز استروف هذه الفرصة وصارح سونيا بعواطفه ... ربما يبدو ذلك ، ولكن براعة تشيكوف المسرحية كانت ابعد من ذلك ، فان شخصية سونيا فى الوقت الذى عبرت فيه عن عواطفها الصغيرة كانت ذات اثر ايجابى فى تنمية الأحداث ... ان تشيكوف وضعها فى الوقت الملائم بكل دقة ، اى فى الوقت الذى احتدمت فيه العلاقة بين « استروف » و « يلينا » احتداما كامنا فى قلبيهما ، وفى قلب « يلينا » بالذات .. ان استروف سبق « يلينا » فى الجهر بغرامه ، ولم تسمح مكونات شخصيتها بأن تجهر مثله بغرامها ، والا تحولت الى شخصية ساذجة ، ومن اجل ذلك وضع تشيكوف احداث سونيا فى بؤرة الاحتدام لتنمية الأحداث فى المجال الدرامى .

والشخصيات التى تبدو فرعية مرسومة أيضا بنفس البراعة المسرحية .. ان « مارينا وتاييجن وماريا » وان كانت شخصيات غير رئيسية ، الا انها القت اضواء غزيرة على الشخصيات الرئيسية، وساعدت فى كشف نوازعها وخفاياها ودوافعها .. ان مارينا مثلا رسمت الصورة الخلفية للأحداث ، و « تاييجن » كشف نزعات ونزوات « استروف » ، و « ماريا » كشفت نزعات ونزوات « فانيا » ، فضلا عن ان هذه الشخصيات كانت ركائز لتشيكوف استطاع ان يظهر بها مرور الاحداث فى المجال الدرامى

واذن فتشيكوف سواء فى شخصياته الرئيسية او الفرعية التزم القواعد الجوهرية فى المسرح ، وكان من اللازم أن نناقش هذه النقطة لندرك كيف يرسم المؤلفون العالميون شخصياتهم . . . وبديهى انه لم يكتب هذه الرواية ليستعرض براعته فى رسم الشخصيات ، وانما المهم ان نقتنع باهمية التزام قواعد المسرح ... وبديهى ايضا أنه لم يكتب هذه الرواية ليعطينا صورة لطبيب يقع فى غرام زوجة شابة ، او صورة لمأساة رجل عجوز يتزوج زوجة شابة ، او مأساة فتاة صغيرة تعشق طبيبا ... طبعا هذه تصورات ساذجة، ومع ذلك فان كثيرين تصوروها ... لماذا ؟ لأن الذين يتحدثون عن المسرح لم يكترثوا بتقريب الرواية الى أذهان المتفرجين .

ان تشيكوف المسرحى العملاق قدم صورة فنية لمأساة الانسان فى مجتمعه الذى كان يعيش فيه ... مأساة الانسان متمثلة فى الخال فانيا وسربرياكوف والطبيب استروف وكل الشخصيات التى خلقها فى روايته خلقا فنيا فى واقع معين... ومن اجل هذا ، اى من اجل براعته الفنية فى خلقها ، لا تزال شخصياته حية فى روايته بعد ان

تغير المجتمع الذى صوره .. هذه ايضا نقطة كان من اللازم أن ندرسها لنعرف معنى خلود العمل الفنى ، ولندرك أن الفنان الكبير هو الذى يستلهم الواقع المحلى ويعمقه حتى يؤكد مواضعاته بالمفهومات العالمية عن طريق ربط المعنويات بالماديات .

اننا نرى فى رواية الخال فانيا نقدا فنيا لمواضعات الحياة فى المجتمع الروسى فى عصر تشيكوف ، وبتعميق مآسى شخصياته فى قسوة ظروفها امكن ان ندرك مأساة الانسان عندما تلغى قسوة ظروفه كيانه ووجوده كانسان ...

ان شخصيات هذه الرواية تتحرك وتتصرف وتحب وتسكر وترقص ، ومع ذلك فانها كلها واقعة تحت وطأة « الأنانية » .. ان « فانيا » مثلا يتحطم بقسوة ، لأنه بعد ان تصبب منه العرق ضاع جهده هباء ، ووجد نفسه يعانى الحرمان بكل معانيه ، ومن اجل هذا انفجر ، وانفجرت من يده طلقات الرصاص ليقتل ويخرب ، ومع هذا فشل فى أن يقتل احدا ، وفشل حتى فى أن يقتل نفسه ... بديهى ان الرصاصة اذا انطلقت قتلت، وانما اراد تشيكوف ان يعبر عن مأساة فانيا ، اى مأساة الانسان فى مثل ظروف « فانيا » ... حياة ضائعة ، لأن المجتمع الذى عاش فيه يهدر وجود الانسان ، فقد كان مجتمعا سادت فيه سيطرة الذين أهدروا القيم ... وليس معنى ذلك ان « فانيا » كان شخصية مثالية ، فان تشيكوف لم يكن يرسم شخصيات مثالية ، بل ان « فانيا » نفسه – فى رأى بعض النقاد – تتمثل فيه الأنانية ايضا ، وانما انفجر فى اللحظة التى شعر فيها بأنه فشل فى السيطرة ...

الواقع اننا فى حاجة شديدة الى مناقشة دقائق هذه الرواية لنفتتن بفن تشيكوف ... والواقع ان تشيكوف من المسرحيين القلائل الذين لا يزال خبراء المسرح يحاولون تفسير اعمالهم دون ان يصلوا الى آراء قاطعة ... والواقع كذلك ان الفنانين العالميين لا يمكن الحكم على اعمالهم باحكام قاطعة ، وانما يفيدنا جدا ان نناقش هذه الاعمال بوعى ، فمتى نناقشها اذا لم ننتهز فرصة عرض مسرحياتهم ؟ !

يهمنا جدا ان نعرف ان رواية الخال فانيا رغم اختلاف الخبراء فى تفسيرها فانها من الوجهة الفنية البحتة عمل فنى متكامل .. ان المخرج الروسى ليلى بلاتون ومعاونه المخرج العربى كمال ياسين نجحا فى ابراز روعة الاطار الفنى والبناء الدرامى ... ان الأحداث ظلت تنمو حتى وصلت الى الذروة فى الفصل الثالث ، الذى كانت نهايته من أقوى المشاهد التى عرفها مسرحنا ، ثم جاء ما يسميه المسرحيون «بالمصالحة» فى الفصل الأخير ، وهذا يؤكد ان مسرح تشيكوف رغم انه من احدث المسارح الفنية فانه فى البناء الفنى ايضا يلتزم بالقواعد الجوهرية ... انها بالطبع ليست « مصالحة » فى مشاجرة مثلا ، وانما هى رؤية فنية للصراع بين الانسان والمقدورات عندما يصل الى مداه ... وفعلا استطاع الممثلون ان يقدموا صورة فنية للصراع ومداه بشكل واضح .. ان سميحة أيوب وعبد الله غيث ومحمد الدفراوى وشفيق نور الدين حاولوا تجسيد مأساة « يلينا وفانيا واستروف وسربرياكوف » ، ومع ان كثيرين من النقاد يرون ان مأساة سربرياكوف اعمق من مأساة فانيا ويلينا ، فان هؤلاء الممثلين برعوا الى حد كبير فى الأداء حسب الرأى الغالب فى مسرح تشيكوف ، باعتباره احد الفنانين القلائل الذين لم تتبلور مآسيهم فى شخصيات معينة دون شخصيات اخرى ... ونحن نظلم بقية الممثلين اذا لم نذكر انهم احسنوا الأداء ، ولكن المؤسف اننا ظلمنا تشيكوف نفسه ، فعرضنا احدى روائعه دون ان نحاول تقريبها للأذهان ، وكأنه لا فرق عندنا بين الروائع والتوافه ! !

عبد الفتاح البارودى

الرسالة فى ثوب جديد

ابتداء من العدد القادم تصدر « الرسالة » فى تخطيط جديد يهدف الى تقوية الارتباط بحاضر الواقع الادبى فى الوطن العربى ، مع التنويع والتركيز والاحتفاظ بطابع الرسالة المميز ومستواها الادبى المعروف .

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

نجمك ـ لماذا هو مفضل ؟

برنامج « نجمك المفضل » الذي يقدمه التليفزيون العربي ـ فكرته جيدة ، ويمكن أن يحقق أغراضا ثقافية هامة لو اتبعت في اخراجه وتقديمه وادارة الحديث فيه طريقة أجدى من الطريقة المتبعة ٠

مثلا ٠٠ عندما يستضيف اديبا كبيرا يركز على انتاجه ومؤلفاته وتجاربه في معاناة التحصيل والكتابة ونشر كتبه ٠٠٠ الخ ، فتلتفت الاذهان الى الكتب ويتطلع بعض المشاهدين الى قراءتها ، فتتعاون الوسيلة التليفزيونية بهذا مع وسيلة الكتاب في تنمية الوعي الثقافي ، على عكس ما يخشى بعض الناس من منافسة الوسيلة الاولى للثانية وصرف الناس عن القراءة ٠

وبذلك أيضا يستفيد الناشئون المتطلعون من تجارب الكبار ٠ ومن لم يكن من المتطلعين أو الراغبين في الاطلاع لا بد أن يصل اليه شيء يفيد عقله أو يفتح مداركه ٠

ومثل ذلك يقال في أي « نجم مفضل » في مجال فنه أو علمه ٠

وأقصد بذلك أن تكون نقطة الانطلاق في البرنامج التي تسلط عليها الاشعة الكاشفة ٠٠ هي **لماذا يفضل الناس هذا « النجم » ؟**

والذي يحدث الآن لا يتجه هذا الاتجاه وان كان يشير اليه بطريقة عابرة ، وساذجة في بعض الاحيان

فالناس لا يفضلون هذا الاديب الكبير ، او ذلك الفنان العظيم ، لانه يقول لهم نكتة ٠٠ او يحكي اطرف ما وقع له مما لا يثير غير الضحك ٠٠

في هذا الاسبوع جلسنا ساعتين أمام شاشة التليفزيون نشاهد ونستمع الى خمسة من كبار الأدباء والصحفيين والممثلين والممثلات ، هم كامل الشناوي ومصطفى أمين وأحمد مظهر ولبنى عبد العزيز ونادية لطفي ٠ قبل ذلك سمعنا وقرأنا دعايات مختلفة الاساليب تبشر بمفاجأة سارة مدهشة ٠٠ وبدأ الحديث بالتهاني بعيد رأس السنة الميلادية ، وبالسؤال عن أهم شيء حدث للنجم في عام ١٩٦٣ وعن أهم أخباره ٠ **فحدثنا بعضهم عن أمراضه ، ونظرت جارة مصطفى أمين اليه تستنجد به ٠٠ كي يلقنها في لحظة انتقال « الكاميرا » الى الآخرين ٠٠**

ووجهت أسئلة الى « النجوم المفضلين » مثل : لو كنت في موقف تحتاج فيه الى النجاة ، وكانت الوسيلة الوحيدة هي مركب لا تسع غير ثلاثة ٠٠ فمن تأخذ معك من زملائك « النجوم » طبعا ومن تدع ٠٠ وأجاب أحمد مظهر بأنه يترك المركب للسيدات أما هو فيعرف العوم ، وأجاب كامل الشناوي بمثل ذلك ولكنه سيغرق لانه لا يعرف العوم ٠٠

وأراد مخرج البرنامج أن يشغلهم بشيء يقطع الوقت الطويل ٠٠ فبعث ببدء قصة ليكمل كل منهم ما بعده ، ففتح الله على بعضهم بجملة ، وأغلق على بعض ٠٠ وعدل عن السير في القصة ٠

ويظهر انهم « صعبوا » على صديقهم محمد عبد الوهاب ، فبعث اليهم في التليفون بسؤالين ، نسيتهما ونسيت الاجابة عليهما لعدم الجدوى ٠٠

كان ينقصهم شيء واحد ٠٠ أن يقترح عليهم أحد الحاضرين ، او الغائبين بالتليفون ، أن يلعبوا لعبة « الثعلب فات فات ٠٠ وفي ديله سبع لفات ! »

المثل هذا يجمع خمسة من كبار كتابنا وفنانينا ويوضعون أمام الناس ساعتين ٠٠؟!

وبعد فاني لا أدعو الى منع التسلية والفكاهة ، ولكني أسأل : لماذا لا يبث خلال الفكاهة والمرح ما يقنع بأن الضيف الكبير ليس مجرد وسيلة الى التسلية **وانما هو اديب او فنان او عالم ، له ادب او فن او علم ، او باختصار : هناك شيء هو مفضل من أجله ٠**

ولا أظن التخطيط لذلك يصعب على القائمين بالامر اذا جد الاتجاه ٠

من وحي الاسكندرية

كان الاستاذ عادل الغضبان قد ألقى قصيدة في مهرجان الشعر بالاسكندرية ، عنوانها « من وحي الاسكندرية » وقد بدت عند القائها مهوشة ينتقل فيها الشاعر من الزمن القديم الى الوسيط ثم الى الحديث وعدها بعضهم من القصائد المختلطة التي تنقصها وحدة الموضوع ٠

والواقع أن الذي ألقاه الغضبان في المهرجان كان ـ على كثرته ـ أجزاء من قصيدة طويلة جدا على قافية واحدة ، أصدرها أخيرا في كتيب أنيق محلى بالرسوم يقع في اربع وخمسين صفحة ٠

والقصيدة عبارة عن ثماني عشرة قطعة ، كل منها ذات موضوع واحد ، يجمعها اطار عام هو ـ كما قال في المقدمة ـ « **قصة عروس البحر من الاسكندرية الى عبد الناصر** » ، وكل قطعة منها لقطة شعرية من

تاريخ البلد المجيد الجميل .

وعادل الغضبان شاعر تقليدى (كلاسيكى) متمكن من القريض العربى أنيق التعبير . تبدو (كلاسيكيته) فى بدئه بهذه الابيات :

عشت طول الدهر يا اسكندرية
انق الحسن ومجلى العبقرية
فسما لو صور الخلد لما
كنت الا صورة الخلد البهية
قبة من لازورد وثرى
من عقيق ورمال عسجدية

ولكنه لا يلبث أن ينجلى فى تعبير مفصل على قد العروس التى جلاها أهل «عبقر» واهدوها الى الانس كما تخيل فى قوله :

بلد أعجب به من بلد
وهبته الجن للانس هدية
بل بنته معجزا من فنها
امة بالعلم والفن غنية
سكن الاعجاز فى اهرامها
وحباها الدهر سر السرمدية

ويتحدث عن « الاسكندر » وشأنه مع هذا البلد العبقرى يقول :

أيها الغازى الذى دانت له
أمم الارض ملوكا ورعية
لا الصبا الغض ولا سمر القنا
دفعا عنك أظافير المنية
عدت للشاطىء لكن جسدا
كفنوه بالحواشى الذهبية

ويصل عقب هذا الى بيت القصيد :

ما استبيحت مصر الا اصبحت
جدث الغازى ، وظلت مصرية

وفى مقطوعة « سيف عمرو » يصور فساد الروم فى مصر وسرقتهم من حضارتها وآثارها لتزويد « روما » وعسفهم فى حكم البلاد ، الى ان يجمع ذلك فى قوله :

نحن لم تجتب فى مصر بهسا
جذوة الثأر ولا نار الحمية

حتى جاء الفتح العربى فأجلى عن مصر الظلام :

طال ليل الظلم حتى شقه
سيف عمرو والسيوف العمرية

زهت مصر بالعرب عدالة وفنا وعلما ، ولكن الترك محوا نهضتها وعاثوا فيها ، وظلت الاحداث والمحن تتعاقب ، وتفاقمت بالاستعمار والمستعمرين الذين :

زيفوا الحق الى ان جاءهم
ناصر الحق سليل المصرية
فاسترد النيل من غاصبه
وطوى منه البنود الاجنبية

ولا تقتصر لقطات الشاعر على الامجاد التاريخية والقومية ، بل تراه يجول فى مجالى الحسن بالثغر وشاطئه وحسانه . ويصف غروب الشمس فوق البحر هذا الوصف :

هل شهدت الثغر والشمس به
غربت خلف الغيوم الأزلية
قرص البحر حشاها فجرى
فى ثناياه خيوطا دموية
وانحنى الأفق على نعش السنا
وهو يبكى بدموع قرمزية

وقد أحسست أنه يفسد علينا جمال هذا المنظر : منظر القرص الذهبى فى افق البحر .. اذ جعله أثرا لجريمة البحر واعتدائه على الشمس بقرضها فى حشاها حتى دميت وحزن عليها الأفق فبكى وتكون من دموعه ذلك القرص .. هذا الخيال الدموى لا يتفق مع شعور البهجة الذى يداخل المرء ازاء ذلك المشهد الجميل . ولا يجدى فى اصلاح هذا الافساد قول الشاعر عقب ذلك :

متعة للعين فى دنيا الورى
وأسى يغشى الديار الفلكية

وقد يكون ذلك هو شعور الشاعر وتعبيره الصادق عنه ، ولكنى أدافع عن شعورى كمتلق للشعر ...

الصراع فى « الخال فانيا »

استمعت من البرنامج الثانى للاذاعة الى برنامج « مع النقاد » الذى نوقشت فيه مسرحية « الخال فانيا » المترجمة عن تشيكوف والتى مثلتها فرقة المسرح القومى واستدعى لاخراجها فى مصر المخرج الروسى الذى أخرجها هناك ، وساعده فى الاخراج المخرج العربى كمال ياسين .

والذى استرعى سمعى فى تلك المناقشة ما قاله كمال ياسين فى تقديم المسرحية ووافقه عليه بقية المتناقشين ـ وهم الدكتوران لويس عوض وعلى الراعى ونبيل الالفى ـ **من أن هذه المسرحية ليست كسائر المسرحيات المألوفة التى لها حدث يدور عليه الصراع الدرامى ، فهى تفتقد ذلك .**

وكنت قد قرأت مثل هذا عن هذه المسرحية فيما كتبه النقاد بالصحف وعلى رأسهم الشيخ الاكبر .. الدكتور محمد مندور ، وشيخ النقاد يقول فى كل مناسبة ان مسرحيات تشيكوف مسطحة ليس فيها

صراعات درامية ·

وأنا لا أتصور مسرحية بلا صراع درامي الا ان تكون هكذا :

الفصل الاول : « السلام عليكم ·· عليكم السلام »

الفصل الثانى: «أشرقت الانوار··· زارنا النبى»·

الفصل الثالث : « مع السلامة ·· »

وامامنا الآن مسرحية « الخال فانيا » فهل هى كذلك ؟! هل هى خالية من الصراع الدرامى ؟ ولماذا هى اذن مسرحية ؟ وماذا نعرض اذن ؟

الذى أدركته من مشاهدتى للمسرحية ، باجتهادى المتواضع الضعيف ، أنها ذات صراع يدور على حدث كسائر المسرحيات ، وان كان صراعها هامسا ·· كما يعبر شيخ النقاد فى بعض نقده ·

« الخال فانيا » رجل يعمل ويكد وينفع الآخرين بثمرات عمله ، وهو الطرف الأول فى الصراع · والطرف الثانى هو أستاذ الجامعة صهره القديم ووالد ابنة أخته المتوفاة ، وهو نوع عقيم من المثقفين يستغل كد « فانيا » فى ترفه هو وزوجته الصغيرة التى تزوجها بعد وفاة الاولى ·

والصراع يدور بين قيمة العمل المثمر وبين الثقافة الجوفاء المستغلة التى تحيط نفسها بهالة كاذبة تريد ان تفرض نفسها على عرق العاملين · وهذا يشبه عندنا ماكان فى الريف ، وما قد يكون شىء منه لا يزال ، من استغلال مشايخ الطرق الصوفية للفلاحين · ووجه الشبه انما هو من ناحية الاستغلال وتحقيق الترف « للمقدسين » على حساب الكادحين

هذا ؛ وقد أعجبتنى حملة الاستاذ نبيل الالفى على استقدام المخرج الروسى ، واستخدامه فى مسرحية تمثل باللغة العربية التى لا يعرفها ، واللغة هى أهم وسائل التعبير على المسرح ، **ومن العسير بل من المستحيل ان يلحظ المخرج الاجنبى كيفية النطق ومخارج الحروف وما الى ذلك مما تتطلبه المواقف التمثيلية المختلفة ·**

وقد فند الاستاذ الالفى كل ما قيل عن فوائد نقل الاعمال المسرحية كما أخرجت فى بلادها ، وقال ان جمهور المشاهدين لايستفيدون شيئا من ذلك ، أما الفنيون فهم يسافرون الى الخارج فى بعثات ويرون هذه الاعمال هناك ·

والحق ان المسالة ليست مجرد ان نفرح بالنقل ونتباهى به ، بل العبرة بالفائدة التى يجب أن تساوى ما نتكبده فى هذا النقل من مئونة ونفقات ·

تغطية أنباء المؤتمر

تغطية الشى ستره ، ويستعمل المعاصرون الآن كلمة « التغطية » ومشتقاتها فى تعبيرات مجازية بعضها مقبول ، ولكن ما تكتبه الصحف بمناسبة مؤتمر القمة العربى ، من مثل « تغطية أنباء المؤتمر » ـ يؤدى عكس المعنى المقصود . **فالمطلوب هو النشر والاذاعة ، لا التغطية والستر ·**

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

هذه الشعرة المقدسة

نشرت الصحف في اليوم التاسع والعشرين من شهر ديسمبر الماضي خبرا صغيرا ، عن مظاهرات صخمة وقعت فى كشمير من أجل شعرة قيل انها من شعر الرسول صلوات الله عليه ، وكانت هذه (الشعرة) مربوطة في بندول مصنوع من الفضة ، وموضوع داخل انبوبة زجاجية محفوظة في صندوق من الفضة أيضا ، والصندوق موضوع في دولاب بأحد المساجد في مدينة (سريناجار) عاصمة ولاية كشمير الهندية ، وقد سرقت هذه الشعرة ، مما أدى الى هياج المسلمين هناك ·

وتوالت الاخبار بعد ذلك ، فذكرت أن التوتر في كشمير بسبب شعرة النبى المسروقة ما يزال يهدد عاصمة كشمير ، وان الناس تحدوا امر حظر التجول واخذوا يطوفون بالشوارع هاتفين باعادة الشعرة المقدسة، وقد تولى بوليس الولاية والمليشيا المسلحون بالبنادق والمسدسات والهراوات حراسة المراكز والمواقع الاستراتيجية ، أما رئيس الوزراء فقد أنشأ مركزا جديدا للبوليس مهمته المحافظة على الامن واستعادة الشعرة ·

لقد استغلت وكالات الانباء العالمية هذا الحادث استغلالا له أهدافه ومراميه ، فابرزت للعالم المتحضر كيف يعيش المسلمون فى اسفاف ، وقدمت نماذج لعقليات منهم تحيا في أضيق افق ، هذه الوكالات التى اهمها الامر الى درجة استطلاع راى المستشرق المجرى عبد الكريم جيرمانوس ، فاعلن أن النبى توفى عام ٦٣٤ ميلادية ، وان سنة من أسنانه واحدى شعرات رأسه محفوظتان في مدينة استانبول بتركيا منذ ذلك الحين ، اما الشعرة المسروقة فخاصة بمن يدعى ميرزا غلام احمد المتوفى عام ١٩٠٨ · وكان يعتبر نفسه خليفة النبى ·

والعجيب ان صحفنا بالقاهرة أدلت بدلوها فى هذه المسألة (الخطيرة) متأثرة بوكالات الانباء العالمية التى تسيطر عليها — بالطبع — أصابع الاستعمار ، فجريدة الاهرام تملأ صفحة بأكملها ، باحثة عن حقيقة شعرة النبى ، واستطلعت آراء كثير من المؤرخين والعلماء ·

وكان ممن استطلعت الاهرام آراءهم واجهدوا اذهانهم مستجيبين لها ، الاستاذ **محمود محمد شاكر** الذى ذكر أنه من الجائز أن تكون هذه الشعرة منسوبة الى الرسول ، واعترف بأن هذه الدعوى ليس لها أى أصل تاريخى معروف ، ولكن من جهة أخرى من الثابت تاريخيا ان بعض الصحابة قد عثر عندهم على بعض شعيرات من رسول الله ، وظلوا محتفظين بها الى أن انقضت الدولة الاموية ·

وذكر الشيخ **محمد شبانه مدير المعاهد الدينية** : انه قرر ان يبدأ على الفور تحقيق الموضوع من اوله ، ثم تساءل : ولكن على أى أساس سوف يعتمد بحث مثل هذه الموضوعات الشائكة ؟ وأجاب : إن البحث سوف يعتمد على أكبر عدد ممكن من كتب التاريخ وسيرة الرسول ، وذلك لمعرفة ما اذا كانت هناك آثار منسوبة الى رسول الله نقلت بعد وفاته أو بعدها ·

وجاء دور **الدكتور محمد ضياء الدين الريس استاذ التاريخ الاسلامى فى كلية دار العلوم** ، وكان له رأى آخر ، مؤداه : ان هناك اعتقادات كثيرة قد لا يكون لها أى أساس من الصحة ، لكن الناس يصرون على التمسك بها ، وهذه الشعرة قد تكون مجرد شعرة احيطت باعتقاد معين ، وبدأ اولئك الناس فى كشمير يعتزون بها على هذا الاساس ·

اما لجنة **الفتوى بالأزهر الشريف** — عفا الله عنها — فقد أعلن رئيسها فضيلة الشيخ **السبكى** ، ان لجنة الفتوى قد اجتمعت على أثر نشر الخبر ، وسوف تصدر خلال سبعة أيام فتوى رسمية ·

هكذا تحولت سرقة شعرة منسوبة زعما الى شعر راس الرسول — صلوات الله عليه — الى قضية كبرى تثير الراى العام العالمى بوجه عام ، والراى العام الاسلامى على وجه أخص ، فتجتذب أنظار المحققين من أساتذة التاريخ فى العالم الاسلامى ، وكبار المستشرقين فى العالم الغربى ، وتشحذ همم لجنة الفتوى فتقرر عقد اجتماع يستغرق سبعة أيام لاصدار فتوى رسمية فى هذه القضية ، ووكالات الأنباء العالمية الاستعمارية انتهزت هذه (الجنازة) لتشبع لطما ، ولم يبق الا أن تتفتق احدى عبقريات هوليود لاخراج فيلم عن هذه المهزلة المبكية المضحكة!

أما الحقيقة الضائعة وسط هذه الضوضاء وذلك الصخب ، فلم يكن لها موضع تبرز منه ، ولا ذكر يعلن عن صرخاتها المكبوتة ، **وهذه الحقيقة لها جانبان : سياسى وآخر دينى** :

اما الجانب السياسي فيتمثل في التوتر القائم بين الهنـــد والبـاكستان ، والذي يلعب الاستعمار في اشعاله دورا ملموسا ، ويلعب عدوان الهندوكية على المسلمين دورا لخطورته ، وسرقة الشعرة (المزعومة) لون من الوان تحدي شعور المسلمين هناك ، وليست هذه المرة الاولى والاخيرة من التحدي ، فهناك عشرات المرات أبرزها الكتاب الذي صدر بالهند عام ١٩٥٦ م وقدم له **(كانيالال منشى)** حاكم ولاية **(اتربرديش)** وكان سببا في قتل مئات المسلمين وتشريد الآلاف من عائلاتهم ، اما عنوان الكتاب فهو **(تراجم الزعماء الدينيين)** وفي الفصل الخاص بالرسول عرض المؤلف بشخصيته ــ صلوات الله عليه ــ تعريضا مفزعا هيج الجماهير المسلمة هناك .

وليست الباكستان وحدها في قصة سرقة الشعرة المزعومة هي التي اتهمت الهندوك بسبق الاصرار على تحدي شعور المسلمين لاثارة الفتنة، فان **نهرو** نفسه بلباقته المعهودة أذاع أخيرا حديثا بالراديو قال فيه : « **ان اللص الذي سرق هذا الأثر الاسلامي المقدس لا يمكن أن يكون صديقا لكشمير ولا للهند كلها** . »

وما هو ظـــاهر الى الآن ان القضية اخذت شكلا ينذر بالشر ، فقـد تقرر حظر التجول في المدينة ، ونزلت بعض فرق الجيش الى الشوارع ، كمـا تقرر فرض رقابة على الرسائل والبرقيات الصحفية التي تخرج من سريناجار ، وقالت **(رويتر)** أن اجتماعا عقد أخيرا عنـــد ضريح محمد على جنـــاح مؤسس باكستان ، اتخذ المجتمعون فيه قرارا أعلنوا فيه : « أن ماجرى في سرينجار كان محاولة متعمدة لاثارة المسلمين في كشمير ، حتى اذا ما احتجوا امكن للهند أن تجد عذرا للقضاء على حركة التحرر » .

اما الجانب الديني في الموضـــوع فيختبىء بين جوانب مأساته المهزلة ، فلو ثبت ان هذه الشعرة من شعر رأس الرســـــول ، فأي وجه من وجوه الدين يبرر تقديسها والحج اليها والمحافظة عليها ؟ هـــل تدهورت رسالة محمد ـ مع عظمتها ـ الى حد الاهتمام بشعرة من شعر الرسول ، لتقنع بعض العقليـــات الاسلامية نفسها بأنهــا قائمة على صيانة تراثه ــ صلوات الله عليه ؟ وهـــل كل تراث الرســـــول : **بضع شعيرات من شعره ، وسنة من أسنانه ، وقميص من قمصانه ، وحجر أسود عليه أثر قدمه ، ومكحلة ومسواك ؟** .

ان الســـــلاطين الذين قيل انهم نقلوا بعض آثار الرسول الى دولهم ، انما كانوا يهدفون الى الافادة من جذب عواطف الشعوب المسلمة نحو حكمهم ، والا فان جل هؤلاء الســـــلاطين اهدروا التراث الحقيقي للاسلام متمثلا في كتاب الله وسنة رسوله .

كنا ننتظر من لجنة الفتوى الموقرة أن تبادر فتعلن أن تقديس المسلمين لشـــعرة من شعر الرسول يضع الاســـلام ومفاهيمه موضع الهـــوان ، وأن وحدانية الاسلام وسلامة عقيدته تأبيان أن يحن المسلمون الى مثل هذه العاطفة الممتزجة بإرهاصات الوثنية ، ولكن لجنة الفتوى رأت أن تستهلك اسبوعا من وقتهـــا (الثمين) لتحقق عما اذا كانت الشعرة منسوبة الى شعر الرسول أم لا .. وليتها آثرت الصمت .

ان **عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه** . حين رأى المسلمين يقصدون الشـــجرة التي بايع الرســـــول المسلمين تحتهـــا بيعة الرضوان للتبرك بها ، بادر بقطعها حتى لا يسمح للوثنية أن تتسلل برفق الى العقيدة الاسلامية ، ومع أن البيعة كان لها خطورتها اذ بايع الرسول تحتها المسلمين على بذل دمائهم ، ولها مكان في تاريخ الاحداث الاسلامية ، واشاد بها القرآن بقـوله : « **لقـــد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا** » **مع هذا كله آثر عمر سلامة العقيدة على الحفاظ على أثر من آثار هذه البيعة ، وحسبنا فعل ابن الخطاب رضي الله عنه .**

وبعد ـ أفليس للمسلمين اليوم مايشغلهم ، ولازال معظم بلادهم يئن تحت مخالب الاستعمار الصليبي والوثني والالحادي على السواء ؟ وهل ضياع شعرة من شعر الرسول يهز كيان الاسلام ، ولم يهز كيانه ابعاده كلية عن حياة المسلمين في جل بلاد المسلمين؟

لا زلت اذكر قصة الذين سفكوا دماء الحسين حين سألوا عبد الله بن الزبير عن دم البرغوث أحلال هو أم حرام ؟ فاجابهم ابن الزبير : ويحكم ! استحللتم دم ابن بنت الرسول وتسألون عن دم البرغوث ؟!

محمد عبد الله السمان

الكتب - عرض وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحي

الحقيقة والدبلوماسية فى امريكا اللاتينية

تأليف : ادولف (ا) بيرل

ترجمة : محمد نبيل موسى علام

والكتاب هو احد المؤلفات التى يقوم على نشرها واصدارها مجلس العلاقات الخارجية بمدينة نيويورك ، قصد ايضاح وتحليل عوامل السياسة الخارجية الامريكية ودراسة ميادين عملها المختلفة فى النواحى الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية على حد سواء .. وهو قبل كل شيء تعبير عن رأى الكاتب فى علاقات الولايات المتحدة التاريخية وسياستها المختلفة تجاه جمهوريات امريكا اللاتينية ..

ويرى المؤلف ان هناك صراعا ذو ثلاث زوايا يسود جميع انحاء امريكا اللاتينية الآن .. **ففى جانب من الجوانب يوجد المحافظون وهم اسر امتلكت الارض والمزارع تدعمها جماعة جديدة أكثر قوة خرجت الى الوجود فى كثير من البلدان نتيجة للتنظيمات الصناعية والمالية .. اما القوة الثانية فيمكن تسميتها بانها « تحررية » ــ اى انها ليست ماركسية وان كان من الممكن ان تصبح** كذلك ــ وهذه يطلق عليها فى بعض الاحيان اسم « اليساريون غير الشيوعيين » ويتركز اهتمامها الحقيقى فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد بطريقة تشابه الى حد كبير الكيفية التى تغيرت بها الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الولايات المتحدة نتيجة للدور الجديد الذى قام به الرئيس فرانكلين روزفلت . والمجموعة الثالثة او مجموعة الشيوعيين ليست لها فائدة بالنسبة لاى من المجموعتين السابقتين وهى تميل الى تدميرهما معا ولكنها تتبع تكتيكات تتضمن فى الغالب قيام « جبهات مشتركة » ــ تضم عناصر من أى من المجموعات الأخرى التى يظن ان وجودها يعود بالفائدة على الشيوعيين ، وهذه التكتيكات لا تستبعد بل غالبا ما تحبذ قيام تحالفات مؤقتة مع أكثر القوى مناواة لها ..

واوضح المؤلف : **ان الثورة الكوبية فى عامى ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ لم تكن شيوعية بحال من الاحوال وقد قامت بها الطبقة المتوسطة والجناح اليسارى غير الشيوعى فى الجماعات العمالية .. وقد كان نجاح هذه الثورة يرجع على وجه التحديد الى ان دكتاتورية باتستا فى كوبا كانت قابلة للاصابة عند الهجوم عليها بصورة فريدة فى نوعها ، لذلك استطاعت الجماعات الشيوعية التى وصلت الى الحكم عام ١٩٥٩ ان تدمر بسرعة فائقة اية حركات تحررية .**

ويرى المؤلف انه لما كانت الوان الصراع السياسى تقوم بصورة متزايدة على اسس اقتصادية فى نطاق كل دولة من دول أمريكا اللاتينية فان موقف الولايات المتحدة يشتمل على جانب مثير . وهى تتخذ موقفا ثالثا لأنها من ناحية تعارض جماعة السياسيين فى أمريكا اللاتينية الذين يدعون للحرب الطبقية أو يدبرونها ويدعون للفكرة القائلة بان السبيل الوحيد لتحقيق الامكانيات الاقتصادية للبلاد هى تحطيم الراسمالية او الغاؤها عن طريق الشيوعية .. وهى من الناحية الأخرى تدعو الراسماليين فى أمريكا اللاتينية الى عقيدة تبدو لهم اشتراكية ان لم تكن شيوعية ايجابية ــ فهى تقول لهم .. اكتفوا بعائد معقول لأموالكم ، وادفعوا نسبة اعلى من الضرائب ولاتمتلكوا مصادر هائلة معطلة من الأرض فى نفس الوقت الذى لا تدفعون فيه سوى القليل او لا شيء للدولة انتظارا لجنى الارباح الطائلة التى لا يقابلها اى

عمل لاينجم عن الزيادة التى تحدث فى قيمة الارض كلما ازداد عدد السكان – **ولا تحولوا اصول الراسمالية المتجمعة لكم الى اموال سائلة ترسلونها الى الخارج فى اسواق باريس ولندن ونيويورك او تحفظونها سائلة فى بنوك سويسرا ، واعلموا ان الثمن الذى تدفعونه لكى تؤمنوا اموالكم هو ان تفهموا الحقيقة الحديثة وهى ان بقاء راس المال الخاص او استمرار بقاء الراسماليين لابد وان يكون له مبرر على الدوام** ، هذا المبرر هو الانتاج المتزايد والتوزيع الأفضل والدليل الملموس .. على ان البلد باسره يستفيد من ذلك ..

ويرى المؤلف كذلك .. ان ملايين عديدة من ابناء امريكا اللاتينية يجب ان ينالوا حظهم من الدخول فى حياة القرن العشرين وارتفاع مستوى حياتهم المادية ، وبصرف النظر عن السياسة فان المشكلة هى كيفية ربط هؤلاء بموارد امريكا الشمالية وامريكا اللاتينية .. حتى ينالوا الفائدة والشعور بجنى ثمارها على السواء ..

فالحقيقة ان اكثر من نصف القوة العاملة فى كل بلدان امريكا اللاتينية باستثناء الارجنتين وشيلى وارجواى – تتكون من العمال الزراعيين – وتوزيع الارض فى امريكا اللاتينية غير متكافىء الى حد مؤسف للغاية .. ففى اورجواى التى يوجد بها افضل توزيع يمتلك ٢ر٤٪ من ملاك المزارع ٤ر٥٦٪ من الارض وتاتى بعدها البرازيل حيث يمتلك ٦ر١٪ من اصحاب المزارع ٥١٪ من الاراضى الزراعية والتوزيع اسوا من ذلك بكثير فى البلدان الاخرى.

وما يزال الاساس الواقعى للدبلوماسية فى نصف الكرة الغربى فى عام ١٩٦٢ يشتمل على الكثير مما كان عليه فى عام ١٩٣٨ وما زالت هناك الآن كما كانت فى ذلك الوقت **حركات فى امريكا اللاتينية تعارضه وترفع الشعارات المعادية له وتحاول ان تجعل حكوماتها ووزارات الخارجية فيها تتخذ اتجاهات دبلوماسية مشابهة ... وتتخذ احدى هذه الحركات من الاستقلال شعارا لها ويستهدف السياسيون من «الاستقلال» ان يكون معناه القدرة على القيام بعمل يتناقض مع مصالح الولايات المتحدة وان كانت قلما تفسر علنا على انها كذلك .. ويمكن تفسير مفهوم الاستقلال ايضا بانها رغبة مشروعة فى الا يكون راى الحكومات المعنية مجرد صدى لراى الولايات المتحدة . ولقد كان – جانيو كوادروس – الرئيس السابق للبرازيل ممن يستخدمون ذلك بقوة – ولكنه لم يوضح مايقصده بالدعوة الى ان تسير البرازيل على سياسة خارجية مستقلة – ولكنه اوحى بمضمونها باشارته الى الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس تيتو ..**

غزو الفضاء

تاليف : عبد المنعم ابو السعود

يحتوى الكتاب على دراسة علمية لرحلات الفضاء ومتطلباتها من الصاروخ الذى ينطلق بالرحلة .. والمركبة التى ستسافر بالانسان .. وكل مطلب من هذه المطالب احتل مركزا مماثلا من الاهتمام به . واستنفد مجهودا متواصلا حتى تبلورت فكرته وامكن تنفيذه بشكل سليم .. وهذا المعنى واضح بالنسبة للصاروخ والمركبة ولكنه بالنسبة للانسان يحتاج للتفهم بمعنى آخر .. فبينما عكف العلماء على وضع تصميم للمركبة يضمن تحمل الضغط ودرجة الحرارة والنيازك .. الخ ..

عكف كل من كلف ببحث المطلب الثالث « الانسان » من مطالب الرحلة على بحث من نوع آخر – وهو كيف يختارون الانسان الصالح وكيف يدربونه على تحمل الظروف غير الملائمة التى تختلف عما يصادفه فى معيشته على سطح الارض بل وكيف يزيدون من قدرة احتماله ..

وهكذا يسير الكتاب فى دراسة رحلة الفضاء – من شرح للدراسات النظرية – ودراسة ديناميكا الرحلة – وطرق تفادى الخطر والمحافظة على الحياة – وكذلك – الرحلات شبه المدارية – والرحلات المدارية .

ويختتم المؤلف بحثه بدراسة وافية للفوائد العلمية التى سوف تستفيدها البشرية من ابحاث الفضاء ..

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

بين رفض الحياة ورفض الموظف !

كل من على الحياة معرض لويلاتها .. بديهة ! فاذا مرضت ـ حفظك الله ـ وطال بك المرض ، فليس هذا أمرا شاذا .. انما هو من سنن الحياة .

ولكن الذي ليس من سننها ، أن تحرم من مرتبك لانك لم تستطع البرء من مرضك خلال مدة محددة ـ اسماها مشروع قانون التوظف الجديد الذى نشر اخيرا ، اجازة مرضية ، وحددها بثلاثة شهور بمرتب كامل ، وثلاثة شهور اخرى ، بثلاثة أرباع المرتب .. وذلك كل ثلاث سنوات !

وعلى المريض اذا طال به المرض حتى تخطى هذا الحد الا يمرض .! او يبحث له عن مورد رزق آخر نعم ... وهو مريض .!

ان ماكسبته ايانا الثورة من وعى يجعلنا ندرك أى مشاعر يشعر بها هذا الموظف المريض وأبناؤه الصغار تجاه مجتمعهم الذى يحرمهم القوت والحياة لاسباب ليست فى مقدور بشر أن يمنعها !

واذا كانت هناك قرارات جمهورية سابقة حققت لمرضى بعض الامراض من موظفى الدولة استقرار الحياة واسبابها حتى يتم العلاج .. ومهما طال .. واخرى قضت على التعطل قضاء اكيدا بعد ان غيرت لائحة « القومسيون » بأخرى ، وليدة حياتنا الاشتراكية ، وتظمنا الثورية ، فأى بأس فى أن يعيد المسئولون النظر فى هذه المادة من هذا المشروع الجديد .. حتى نضمن الا يحرم الموظف ـ لاسباب مرضية ـ من مرتبه ومن الشعور برعاية الدولة له ولاولاده واسرته ، مهما كان المرض .. ومهما كانت مدته .

وهل تقل دولتنا عطفا ورقة قلب عن امثال هذا الكريم الذى يرسل للاستاذ انور المعداوى ـ شفاه الله ـ مرتبه الشهرى ، حتى لا يشعره بالقطيعة بينه وبين الدولة ، فتزداد صحته سوءا !!

احسب ان الدولة اقدر واولى بالمسئولية من امثال هذا الكريم ! والمشروع لم يصدر به قرار بعد .

محمد محمود شمسي

بيرم التونسى

كان المرحوم بيرم التونسى شاعر الشعب الساخر بشعره طيلة حياته ، وفيلسوفه الكبير الذى يبحث عن الفكرة الحرة ، لايرهب سلطانا ، ولايطمع فى جائزة ، ولايبالى بتهديد او وعيد . بل همه هو الحرص على القضاء على الظلم الاجتماعى ، ومطاردة خونة الوطن ، اينما كانوا ، ومهما تكن حيثياتهم وقد هاجم الاسرة الحاكمة السابقة ، فنفاه الملك فؤاد الى باريس .

والمعروف عن بيرم التونسى أنه كان يقول الشعر زجلا ، ولكن زجله هذا بالرغم من استعماله بعض التعابير العامية تيه التى يلجأ اليها كل زجال شعبى الا ان هذا الشعر الزجلى كان افصح بكثير من بعض الشعر العربى الخالص ، واهم مايمتاز به شعره هو الجرأة فى الهجوم على الأوضاع التالفة فى حياتنا كلها ، ولاسيما حياتنا الاجتماعية التى دخلها اغنياء وتجار الحرب ، حتى أطلق عليه بعض النقاد والكتاب « موليير مصر » . وهو فى السخرية من حياتنا الاجتماعية والتهكم من الاوضاع الفاسدة فيها بشعره الزجلى نظير عبد الله النديم فى ذلك بالنثر ، وهو ايضا فى نظرى امير الشعر الزجلى فى تاريخ الزجل العربى على الاطلاق ، فقد استوفى فيه كل غرض ، وكان بارعا فى استعمال الكلمات القوية التى تصيب هدفها بدقة واحكام . وانا اتساءل :

لماذا تخلو مكتباتنا العربية من ديوان كامل لبيرم التونسى يضم آثاره الخالدة التى تعتبر تراثا فنيا لايقدر فى حياتنا الفكرية ، وتاريخنا الادبى ويقرؤه كل قارىء عربى من عشاق بيرم التونسى . انى اتوجه بالنداء الى الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد ، وحامى التراث العربى والثقافة العربية ان يكلف الدار القومية التابعة لوزارة سيادته بجمع شعر بيرم التونسى ، وطبعه فى ديوان كامل خدمة للعربية وقرائها ، وتخليدا لذكره .

مصطفى محمود مصطفى

● رسالة من الأديب : **نبيل أحمد مصطفى** بالمنيا يذكر فيها : ان الرسالة وحدها المسئولة عن تلك المواهب الناشئة ، واخراجهم من طوفان التزاحم الادبى الذى يكاد يجرفهم ، لأنها القادرة على تيسير الطريق لهم ، وتهيئة الميدان الأدبى لانتاجهم ، وهو يذكر أستاذنا الزيات بوعده هؤلاء الناشئين بالاهتمام بهم .

وتود ان تقول للأديب : ان الرسالة لم تزل عند وعدها للبراعم اذا ما اجادت فى انتاجها ولم تتعجل الثمر قبل الا تبذل جهدا .

● رسالة عتاب من الأديب : **محمد جاد البنا بكلية الدراسات العربية** – جامعة الازهر ، يعتب فيها على الرسالة – بما لها من عراقة الأصل الصحفى ، واصالة النسب الادبى – ان تحذو حذو المجلات الاخرى فى خنق الافكار الحرة وقتل الآراء الجريئة ، وهى التى طالما شجعت الثقافة العربية فى اطارها الصحيح ، والفكر الاسلامى فى ثوبه الناصع ، فما كان يظن ان صفحات (بريدها الادبى) تضيق بكلمة موجزة بعث بها الأديب – كما يقول منذ شهر ، ولم تنشر حتى اليوم

والبريد الأدبى المتهم سبق ان نشر بعض آرائكم فلا داعى لهذا التشاؤم ، ويظهر ان الأديب لم يقدر ان عشرات الرسائل ترد الى البريد الأدبى اسبوعيا وصفحاته لم تزل محدودة .

● رسالة من الأديب : **السعيد بيومى الورقى المدرس بفاقوس** ، يعقب فيها على ما نشر على صفحات البريد الأدبى حول قصيدة شوقى عن عرابى والتى جاء فى مطلعها :

صغار فى الذهاب وفى الاياب
أهذا كل أمرك يا عرابى

ولما كانت هناك رسائل عديدة حول هذه المسألة آخرها رسالة الأديب ، فقد رأت الرسالة الاكتفاء بما نشر وقد كان فيه الكفاية .

● رسالة من الأديب : **محمد سمارة عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين** . يحيى فيها الرسالة على الكلمة التى سبق نشرها على صفحاتها تحت عنوان : « **مأساة أديب ومكرمة وزير** » ويذكر الرسالة بمحنة الشاعر **محمود ابو الوفا** الذى نالت من عطف السيد **الدكتور عبد القادر حاتم** وزير الثقافة والارشاد القومى فى العام الماضى ما ناله الأديب الناقد **أنور المعداوى** هذا العام .

ويذكر الأديب العراقى ان مأساة الاديب فى العراق لا تقل عن سواها فى البلدان العربية ، ويخص بالذكر الأديب الشاعر **بدر شاكر السياب** الذى اصيب بشلل اقعده ، والأديب **نديم الأطرقجى** الذى أودى الفقر بحياته وهو فى ريعان شبابه ، اذ توفى فى الثالثة والعشرين من عمره فى مستشفى لمرضى السل .

والرسالة ترجو فى القريب العاجل أن تكون هناك نقابة للأدباء ، فى كل بلد عربى المحافظ على كرامتهم وانقاذهم من أية محنة يتعرضون لها ، وهى على اتم استعداد باقلامها للاسهام فى اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود ان شاء الله .

● رسائل عديدة من الشعراء فى ذكرى عيد النصر ، وقد جاءت الى الرسالة متأخرة ، فرأت الرسالة الاشارة الى بعضها .

تحت عنوان « **أعياد النصر** » قصيدة للشاعر : **طلبه محمد عبده وكيل مدرسة بورسعيد الثانوية جاء فيها :**

ذكريات النصر قد فاح شذاها
فاخر النيل بها الدنيا وتاها
انها ذكرى كفاح باسل
حققت مصر به كل مناها

وتحت عنوان « **ذاك شعبى** » **قصيدة** للشاعر : **محمد جمعه الشايب مفتش اللغة العربية بالمنصورة جاء فيها :**

كتب التاريخ يوما صفحة
من حروف النور فى سفر الخلود
تسميه الدنيا لها لو تليت
ويظل الكون منها خير عيد
هذه صفحة شعب خطها
يوم افنى خصمه فى بورسعيد

(م ٠ ع ٠ س)

قصة العدد

الذى انكسر !!

بقلم : عاشور عليش

كانت دميمة .

الا ان هذا لم يكن سببا كافيا يحول بين قلبها .. وبين ان يحب .

واحبته بكل وجودها .

كانت ترى فيه كل الحياة ، فوهبته حياتها .

اتاها الحب فجاة ...

لم تحس به الا وهو يعتصر قلبها ، وياكل من فكرها .

كانت تجهل كل شيء عنه حتى اسمه !!

ولما بدت اعراضه عليها ، قالت لها اقرب المقربات اليها :

« ... هذا هو الحب . »

وحارت « هى » ماذا تفعل به !!

نشأت يتيمة ، ولم تعرف من دنياها سوى امها العجوز ، هذه السيدة التى حملت عبء الجهاد بعد زوجها كيما تمهد لها اسباب الحياة ..

كانت تشقى من اجلها ، وكانت فى كفاحها صامتة، لم تشك الى مخلوق ، ولم تسأل احدا معونة .

شيعت زوجها الى مقره الاخير وعادت الى بيتها لتبدأ صفحة جديدة .

ومنذ اليوم التالى لوفاته عرفت الطريق الى البيوت ، تغسل عن سيداتها الاثواب .. شيء واحد كان يبعث الحياة الى نور عينيها ، ويضيء قلبها حتى لتدب الحركة فى سكونه ، هو «محبات» ابنتها وآخر ذكرى للرجل الوحيد الذى عرفته طيلة حياتها ».

لم يترك لها شيئا سوى هذه الابنة ، واوصاها بها خيرا وهو يجود بانفاسه الاخيرة ، فى طريقه الى السماء .

اخذت « محبات » تنتقل مع امها من بيت الى بيت، تدور فى فلكها وهى لاتدرى لماذا تدور .

وكانت فى كل بيت تدخله ، تخرج منه وقد اصاب قلبها الطفل ، سهم جديد .

كان الاطفال ينفرون منها لدمامتها ، وكانت ربات هذه البيوت يحلن بينها وبين اللعب مع اطفالهن لا لسبب الا لأنها « ابنة الغسالة » .

ولم تجد فى هذه السن الصغيرة من يشاركها طفولتها اليتيمة ، فانطوت على نفسها ، وقد انطوى قلبها على جرح دام يقطر مرارة .

وانزوت عن الاعين ، تخفى عنها هذا الوجه القبيح الذى تتأذى من مرآه ، وارهفت الوحدة احساسها حتى اصبحت تقرا النظرات وتجيد الاستماع الى حديث السكون !!

وكبرت محبات ، وكبر معها الالم ، وكانت كلما اينع الشباب فيها ، اينعت معه الحسرة ، حتى زهدت الحياة ، وتمنت لو فارقتها .

وكانت ذكريات الطفولة تلاحقها ، فتبكى فى صمت .

ولم يغب عن قلب الأم ما تعانيه ابنتها ، فلم تضن عليها بحنان ، واجهدت نفسها ما وسعها ، لتبعد عنها هذه الاشباح التى تؤرقها ، فلم تبخل عليها بطلب ، وقلما طلبت محبات شيئا !!

***

واتاها ما اتاها فجاة ..

لم تحس به الا وهو يعتصر قلبها ، وياكل من فكرها ..

كانت تجهل كل شيء عنه .. حتى اسمه ..

وحارت هى ماذا تفعل به ؟

احست به فى انشغال فكرها وفى شروده ، فى نبضة قلبها وفى حنينه ، فى بكائها دون ما سبب ، وفى فرحتها التى لاتدرى كنهها .

فى اشراق الحياة من حولها ، وفى عبوس وجهها .. فى يقظتها الحالمة وفى صحوة نومها .. واحست به ، حتى اصبح فى حياتها كل شيء !!

ولم يكن من تحب بعيدا عنها ، بل كان قريبا منها، لايكاد يفصلها عنه سوى باب واحد ، وبرغم هذا ، فقد كانت تحس بعده عنها ، كما لو كان هو فى السماء وهى فى الارض !!

كانت تحبه ، وتحب رؤيته ، ورغم هذا قد حرمت نفسها منه ، خشية أن تقع عيناه على وجهها ، فيزور عنها ، وبهذا يغيب آخر شعاع لشمس الامل فى افق وجودها .

احبته فى صمت ، فى خشوع فى رهبة .. فى عبادة ، كانت تذكره فى صلاتها فيشرق قلبها بالدمع،

وترفع اكف الضراعة الى الله ان يحفظ لها هـذا الحب .

***

كان « محمود » يعمل فى مصلحة التنظيم ، وكانت طبيعة عمله تقتضي منه السهر طول الليل فاذا ما اقبل الفجر ، عاد الى بيته ، وهى غرفة تجاور غرفة « محبات » على سطح احد المنازل،ويستسلم للرقاد، بعد مجهود شاق .

ولم يكن محمود يتمتع بمرتبه الضئيل منفردا بل كان عليه ان يعول اما له واخوات فى البلدة ، فكان يقتسم مرتبه معهم ، ويقتنع بالكفاف ..

وشغله هذا الكفاح عن كل شيء فى الحياة .. عن شبابه وآماله .. وعن وجوده كانسان !! تحق له الحياة !!

واقبل رمضان ..

ووجـدت « محبات » فيه فرصـتها التى طالما انتظرتها ..

انها تريد ان ترطب وجودها بسماع صوته ..

كانت كل ما تتمناه هو ان تتحدث معه ، أن تقف امامه ، ان تبادله النظرات .

وفكرت كثيرا .. فكرت فى هذه الوسيلة التى تشبع بها هذا الجوع ، الى ان جاء رمضان ، وجاء معه بما عز على سائر الايام .

صامت عن كل شيء الا عن التفكير فيه ..

وشغلت صيامها باعمال المنزل ، الا ان هذا ايضا لم يصرفها عنه .

انه صائم هو الآخر ، ولابد لها من أن تجعله يحس فرحة الافطار .

وراودتها فكرة جريئة ، اسلمت قلبها الى فرح مجنون ، ونفذتها فى الحال ..

لماذا لا تصنع له دورقا من شراب « قمر الدين؟» واودعته اسرارها .

واودعت الشراب كل ما وسعه قلبها من حب ، واودعته اسرارها التائهة ، آمالها اليتيمة ، وكانت كلما تذكرت مرارتها ، اضافت اليه قطع السكر بلا وعى منها ، وهى تدعو الله له من قلبهـا ان يجنب حياته المرارة . ويجعلها حلوة امامه دائما ..

وجاء المساء ..

كانت تعد على الشمس اشعتها وترقب مغيبها بقلب طالما استسلمت الفرحة فيه للمغيب واستأذنت امها فى ان تحمل اليه الدورق ، فاذنت لها وهى تدعو الله لها ان يجبر خاطرها كمـا جبرت بخاطر هذا الشاب المتكسر الوحيد .

وحملت دورقها وهى تكاد تميد به من الفرحة ، وطرقت الباب .

وبعد لحظات خالتها دهورا ، انفرج الباب عن وجهه ، فتوقف قلبها ، وانحبس الكلام فى فمها ، ولم تشعر الا وهى فى فراشها تتقلب عليه وليس لها من رغبة فى هذا الوجود الا ان يتركها العالم وشانها ... حتى امها .

كانت تحتضن طيفه والدمع يترقرق فى عينيها .

انها لاتستطيع ان تبعد هذا الطيف عنها ، انها لاتدر ماهو لون عينيه ، وما هى تقاطيع وجهه .. وكانت كلما امعنت الفكر فى استذكارهما ، غاب عنها الفكر ، وانفلت منها الى عالم آخر تحسه ولا تدركه .. عالم لا تعرف عنه شيئا الا انه عالم جميل .

ومع السحور ...

جاء من عمله مهدود القوى ..

وكانت « هى » ترقب حضوره بلهفة لم تدع للنوم سبيلا الى عينيها .

وقامت تطالبه باعادة الدورق الفارغ ..

وفتح لها الباب ..

وغاب قليلا فى الداخل ، ثم عاد اليها يحملّ الدورق ..

كان كما هو ، كآخر عهدها به ... لم يمس ..

ونظرت الى الدورق ، والى عينيه ، ورددت النظر، واستطاعت اخيرا ان تهمس بصوت غير مسموع : —

« لماذا لم تشرب قمر الدين ؟ »

فكان جوابه لها ، والحياء يتعثر على شفتيه ، انه لا يحب هذا الشراب ، وشكر لها فضلها .!!

وفى الطريق بين الحجرتين ..

بين احضان الليل ، وفى سمع السكون ... بكت من قلبها ...

ولم يستطع الدورق الذى اودعته حبها ان يصمد طويلا لهذا البكاء ...

فانفلت من يدها لينسكب الشراب تحت قدميها !؟

كانت تحس ان قلبها هو الذى انكسر .!!

عاشور عليش

الدار القومية للطباعة والنشر